عذراء وثلاثة رجال

جين هيلتون

www.gulfkids.com

عذراء وثلاثة رجال

عذراء وثلاثة رجال

جيمس هيلتون

ترجمة

الدكتور زكريا مرزا

منشورات

المكتبة الحديثة - بيروت

دار الشرق العربي - بيروت

مؤلف الرواية

مؤلف هذه الرواية كاتب انجليزى معاصر فى الخامسة والخمسين من عمره اذ كانت ولادته فى لانكشاير ـ وهى مقاطعة انجليزية ـ فى سنة ١٩٠٠ للميلاد

وقد تلقى جيمس هيلتون تعليمه الجامعى فى جامعة من اعرق الجامعات الانجليزية ، وهى جامعة كمبريدج . وكان ملحوظ التفوق والالمعية فى مدة الدراسة . وهو من هذا الوجه يعتبر شبيها ببطل قصته « كونواى

ويبلغ من نبوغه أن جريدة المانشستر جارديان قبلت نشر اعماله وهو بعد طالب بالجامعة ، ومنحته عنها اجرا . وذلك تقدير غير قليل ، اذا علمنا أن المانشستر جارديان ليست جريدة محلية تنسب الى مانشستر فحسب ، بل هى من اكثر الصحف البريطانية العامة اعتبارا واوسعها انتشارا

ومن باب المانشستر جارديان دخل جيمس هيلتون باب الصحافة والادب . وكان عمله فى الصحافة الادبية ملحوظا من القراء والنقاد ، اذ عهدت اليه الديلى تلغراف فيما بعد بمهمة محرر النقد الادبى للروايات . وهى وظيفة لا يعهد بها فى الصحف البريطانية المحترمة الا لمن رسخت اقدامهم فى الفن الادبى ، واستقرت الثقة باذواقهم وحسن وزنهم للانتاج الادبى المستفيض فى تلك البلاد

ونستطيع ان نعرف مقدار الحرج الذى كان من الممكن أن يقع فيه المؤلف وهو يعمل ناقدا ادبيا فى الصحف الكبرى ، اذا قدرنا انه هو نفسه من مؤلفى القصص . فهو يعرف ذلك الفن معرفة من اصطلى بنار الانتاج ، لا معرفة المترف المتفرج . وقديما قيل ان النقد يسير هين ، اما الانتاج فعسير شاق . ومؤلفنا قد عزف العلمين ، فلايمكن ان يرمى بتلك . ولكن يمكن اتهامه بالتعصب لمدرسة معينة فى الادب الروائى مثلا ...

To: www.al-mostafa.com

وهذا أيضا كان جيمس هيلتون بريئا منه ، والا لما نجح فى النقد الادبى . وقد استمر يعمل فى ميدانه سنوات طويلة الى أن تفرغ لكتابة القصص بعد ذيوع شهرته فيها ذيوعا عظيما ...

ولقد سبق لسلسلة روايات الهلال ان أصدرت لهذا الكاتب رواية « الافق الضائع » فى نوفمبر ١٩٥٥ التى اعتبرت من الدعائم القوية التى قامت عليها شهرته العالمية ، وضربت فى توزيعها أرقاما قياسية فى امريكا وانجلترا على السواء . ومن ثم اقبلت عليها شركات السينما ، واخرجتها على الستار الفضى ، كما اخرجت روايته الاخرى « وداعا مستر شبس »

واليوم نقدم لهذا القصصى البارع هذه القصة الممتعة « عذراء وثلاثة رجال » ، وهى كغيرها من روايات هذا الاديب القصاص العالمى ، تستحوذ على لب القارىء منذ بدايتها حتى نهايتها . وقد استطاع جيمس هيلتون ان يحلل فى هذه الرواية الشائقة شخصيات الرواية تحليلا دقيقا ، وان يكشف عن اعمق اعماق العواطف البشرية

ومنذ سنة ١٩٣٥ استقر جيمس هيلتون فى امريكا ، واحترف كتابة القصص السينمائى لعاصمة الشاشة الفضية « هوليوود »

أشخاص الرواية

• **فرينشام** Frensham : ثرى من محبى المغامرات جمع ثروته من المشروعات المالية الناشئة ومن المناجم والمضاربات

• **مارجريت** Margaret : ابنته . ذات تفكير هادىء وصلابة وطباعها اقرب لطباع الرجال

• **بومى (بوميروى)** Pommy : ابنه . طيب كثير الاعتماد على غيره . ضعيف البنية فى صباه . موظف دبلوماسى

• **ليلى** Leila : ابنته الصغرى . جميلة عادية الذكاء محبة للهو ومفتونة بالتبرج

• **اوين بينجلى** Owen Bingley : رجل اعمال استغلالى من غلاة المحافظين قوى الشخصية محب للسيطرة وضد كل حقوق الطبقة العاملة . زوج ليلى

• **بولين بريندويت** Pauline Braithwite : من الطبقة العاملة . ممرضة متطوعة فى المستشفى العسكرى . تزوجها بومى

• **لوفل** Lovell : صانع نابغ ومخترع مكافح

• **كارول** Carroll : جندى امريكى فنان

• **فرجيسون** Fergusson : طبيب الاسرة

• **دارنت** Darrent سائق وسائس

• **مينشن** Minchin : ساقى الاسرة العجوز

الفصل الأول

أسبوع

مامن شك فى ان ذلك الاسبوع كان اسبوعا يستحق ان يوصف بالجمال والروعة . وكانت مرجريت يومئذ توشك ان تبلغ الحادية والعشرين من عمرها وهى متوجهة فى العربة التى تجرها الجياد المطهمة الى محطة بادينجتون بعد ان أتمت أول زيارة لها لمدينة لندن وخامر مارجريت الاحساس بأن هذا الاسبوع الجميل لم يكن ينقصه شيء اللهم الا ان يكون معهما يومى . فلو تم ذلك لكانت الروعة بالغة حد الكمـــال

وكان العبير اللطيف المنبعث من سيجار مرافقها يتسلل عبر العربة الى وجهها وانفها . وكلما رمقته بنظرة جانبية من عينيها ، طالعتها من وجهة نظره الرضا الذى يوشك ان يمسى تيها وزهوا . فالحق انهما نعما طيلة هذا الاسبوع بتمضية وقت طيب هنيء

ومرت العربة أمام دار مدام تيسو ، فتذكرت مارجريت كيف استولت عليها الدهشة البالغة ، بل كيف اخذت عندما اكتشفت ذلك الشبه الشديد بين القاتل وبنرايت وبين الشاعر لورد تنيسون . ولكن لندن مدينة حافلة بالاعاجيب والمدهشات . . .

وكانت مارجريت جالسة وقامتها منتصبة انتصابا كاملا ، وعقلها يقظان يقظة كاملة كذلك والعربة تدرج بهما ، وقبعتها ذات الحـافة العريضة مائلة الى الامام فوق كتلة من شعر احمر نحاسى غزير ، ومن تحتها عينان عسليتان وبشرة وجه تركت فيها اشعة الشمس أثرا قويا . فلولا حمرة الشعر وصلابة الفك لظن الناظر انه ازاء فتاة تجرى فى عروقها دماء أهل الجنوب

ولم تكن تتكلم الا قليلا . ولكن صوتها العريض الغنى فيه مرونة

تكفل له القدرة على الارتفاع فوق لغط الثرثرة فى حجرة حافلة ، كما تكفل له القدرة على التسلل الى الاذن فى طبقة الهمس وسط تلك الضجة . وعلى الجملة كان كيم فرينشام راضيا كل الرضا عن الاثر الذى تركته ما رجريت فى دوائر لندن

ولكن الشيء الذى فانه ان يفكر فيه هو الاثر الذى تركه هو فى نفس ما رجريت بالذات . . .

فعلى طول الطريق الى بادينجتون كانت مارجريت مستغرقة فى تقليب مشكلة جديدة ، هى مشكلة تلك الحياة « الاخرى » المذهلة التى سمح لها والدها أن تلقى عليها نظرة خاطفة . وزادت دهشتها كثيرا وهى تحاول الان ان تلقى نظرة شاملة تسترجع بها ذلك الاسبوع كله جملة

ولو ان بومى كان معها لوجدت شخصا تتحدث اليه عن ذلك الامر . أما الان وهى وحدها فليس امامها الا ان تقلب الخواطر وتعيد تقليبها فى ذهنها الحائر

لقد كانت تعلم بالطبع ان والدها كان طول حياته معدودا بين الاثرياء . وانه بلا ريب ذو أصدقاء كثيرين لم تكن تعلم عنهم شيئا . ولكن مع هذا اذهلها ذلك الاستقبال الذى تلقتها به دوائر المجتمع اللندنى . ففى كل قاعة استقبال ، وفى كل ملعب من ملاعب التمثيل ، بل فى كل ركن تقريبا من اركان الشوارع الكبرى كان الكل يهتفون به :

ـ مرحى ! اهلا بك يا كيم !

ولم تكن تعرف هذه الكنية لوالدها قبل هذا الاسبوع . فرأى لذلك أنه ينبغى أن يوضح لها الامر :

ـ اطلقوا على هذه الكنية لاننى منذ بضع سنوات جنيت شيئا من الثراء عن طريق استثمارات فى كيمبرلى . . . فهناك مناجم للماس كما تعلمين

بيد أن هذا التوضيح لم يقلل من دهشتها وحيرتها . كانت مندهشة لان هذا الرجل الذى كان يتحدث على سجيته التامة مع الفلاحين فى الحقل او فى الجرن ، يتكلم على سجيته التامة ايضا وبنفس الاسلوب الى الدوقات على مائدة العشاء

ومهما يكن من شيء فهي تشعر بالسعادة بعودته الان معها الى اولئك الفلاحين والى الحقول والاجران . فلما سألها والعربة تدرج بهما فوق بلاط الشارع قرب المحطة :

ـ آسفة انت على مغادرة لندن يا مارجريت ؟

هزت راسها هزة يسيرة جدا كانهـا فى شك من اسـفها على الانتهاء من تلك الرحلة السحرية . واستطرد والدها يقول :

ـ لقد فكرت فى ان اتخذ لى بيتا فى لندن فى السنة القادمة

فسألته بشيء من الدهشة :

ـ بيتا لنا كلنا ؟

ـ لكل من استطاع او شاء الحضور . وربما استطاع بومى ان يأتى الى ذلك البيت فى فترات الزيارة . وسـيأتى على كل حال ثلاثة اشخاص هم انت وليلى وانكما ...

فقالت بتحفظ :

ـ هذا اذا قررت امى المجيء

ـ آه . نعم . يجب ان نبذل جهدنا فى اقناعها . فقد يجدى عليها تبديل الهواء . وانت تعلمين انى دعوتها للمجيء معنا هذه المرة ، ولكنها اجابتنى بانى لم اعرفها بتلك الرغبة قبل السفر بوقت يكفيها للتاهب له . ولذا بقيت فى الدار

فهزت مارجريت راسها هزة من تدرك الظـروف وتقـدرها . واعتصمت بالصمت الى ان دخلت العربة فناء المحطة . وقفز الاب هابطا الى الارض ، ثم اعانها على النزول . فشعرت عندئذ بما كانت تشعر به دواما فى الامكنة المزدحمة من زهو شديد لوجودها معه . فهو فارع الطول ، ضخم القامة ، وسيم اسمر الوجه ، تزينه سالفتان بلون رمال الشاطيء . وكل حركاته وتصرفاته توحى بالعظمة والابهة وازهتها سخاوته فكانه امير من الامراء فى عطيته الكريمة للحوذى ، وفى امره للحمال بان يذهب بالحقائب الى القطار المسـافر صوب شيبينج تورتون . وبلغ زهوها وافتخارها به غايته حتى لقـد طفرت الدموع فعلا الى عينيها وهو ياخذ بيدها معتمدا على ذراعه مخترقا بها فناء المحطة

ولما اقتربا من كشك الصحف والكتب وضع فى يدها نصف جنيه

ذهبا وقال لها :

ـ اشترى لنفسك شيئا تقرأينه فى الطريق ، لاننى قد لا استطيع ان اتحدث اليك كثيرا اثناء الرحلة . فقد رتبت الامر بحيث يقابلنى هنا رجل ليسافر معنا ، ويقضى فى بيتنا بضعة أيام . رجل اسمه مستر لوفل ...

وبعد ساعة من الزمن كانت تحملق والوسن يداعب جفنيها من خلال النافذة ، وقد أخذ القطار يقترب من ريدينج . وفوق ركبتيها مجلة ذات غلاف ازرق تضم موضوعات جيدة . ولكنها أسفت لانها لم تجد فيها قصة من تلك القصص المدهشة التى يقوم بالبطولة فيها شارلوك هولمز ...

ولا شك فى انهم سيضطرون لتغيير القطار فى محطة شيبينج نورتون . ولكن ذلك افضل على كل حال من الاستمرار فى اختراق مقاطعة جلوسستر . وكم يكون بديعا وراثعا لو أمكن الطيران فى الهواء بواسطة الة من الآلات .. ففى المجلة مقال عن شىء من هذا القبيل . وزعم كاتب المقال أن الانسانا ما افلح فى تحقيق هذا الحلم فى مكان ما بامريكا !

وبين الحين والحين كان يطرق سمعها عاليا فوق ضجة القطار صوت والدها العميق الرنان المرح :

ـ ولكن يا عزيزى لوفل ... خذ بالك ... اسمح لى لحظة واحدة ان اراجعك فيما قلت الان ..

وكانت للرجل الغريب طريقة خاصة فيها ثقة وحماسه وهو يقول :

ـ اؤكد لك يامستر فرينشام ... انا متأكد ... انا واثق ...

وكان اكبر منها . لقد قدرت له عمرا يقرب من الخمسة والعشرين عاما

ولم تكد تحدث فترة صمت بين احاديث الرجلين المتصلة ، الى أن آن الثلاثة ان يغادروا القطار كى يركبوا قطارا جانبيا بطيئا . وعندئذ التفت اليها والدها ، وابدى لها عن امله الا تكون احاديثه المتصلة مع ضيفه الشاب قد اضجرتها . فابتسمت واجابته انها فى الحقيقة لم تكن مصغية باى وجه من الاوجه الى مايقولان . فانفجر الاب

ضاحكا بصوت مرتفع وهو يدس ذراعيه فى ذراعيهما ليسيروا على طول رصيف المحطة وقال للشاب :

ـ لعمرى يالوفل هذه تحية لك ! فهذه السيدة الشابة لم تمرك سمعها ! وهذا ميزان نزيه لقيمة افكارك !

فاحمر وجه الشاب احمرارا شديدا ونظر اليها فيما خيل اليها ـ بشىء من التوسل . وعندئذ اشار أبوها الى القطار الذى كان عليهم أن يستقلوه وقال لها :

ـ هذا يامارجريت شىء ربما طاب لك ان تعلمى انه صار من مخلفات الماضى .. لقد اصبح البخار مقضيا عليه . وفى مدى عشر سنوات سنكون جميعا راكبين قاطرات تسير بالبترول نمخر بها الشوارع والطرقات !

فهتف الشاب متحمسا :

ـ سيحدث هذا حقا يامستر فرينشام ! انا على يقين من هذا !

وكانت هذه اول مرة تتفحصه فيها بنظرها وحواسها تفحصا دقيقا واعيا . فاذا به طويل عريض الكتفين . وعيناه حالكتا السواد ، لاسعتان بوميض خاطف تكاد حماستهما ترمى بالشرر . وكانت سحنته كلها تدل على صفة واحدة تنم عنه هى اللهفة

واستطرد الوالد يقول وهم يدخلون مقصورة فى القطار البطىء :

ـ هيا الآن يالوفل اتمم كلامك . فانا على تمام الاستعداد للاصغاء، حتى ولو لم تكن مارجريت مستعدة لذلك . ولعلك قادر ان تقنعنى ان انت بذلت فى ذلك جهدا كافيا . فانا على كل حال مهتم بالموضوع اهتماما فوق المألوف . استمر اذن فى عرض الفكرة ياولدى ... هيا !

. واستأنفا الكلام والمناقشة والمجادلة والافتراض الى أن توقف القطار فى محطة جانبية صغيرة . وكان الظلام قد اخذ يقترب ، فخيمت عتمة الغسق . ولما نزلوا وجدوا فى انتظارهم دارنت فى العربة الكبيرة ، تعبث يده بقبعته وهو يتقدم لحمل الحقائب . وقد شدت الى العربة فرسان بيضاوان تعرفهما جيدا ، فاخذاهما طبق القشدة والاخرى زهرة الحقل . وكانت صورة العربة وفرساها وسائقها كافية لابراز احساس مفاجىء لديها هو الاحساس بالوطن

... الموطن بكل ما يكتنفه من اعزاز وحنين وجمال ، لا يشاركه فيه اى موضع آخر

وسألته مارجريت :

ـ هل امى بخير يادارنت ؟

واجابها الرجل بلهجته الاقليمية الظاهرة التى تنسبه عند سامعه على الفور الى اقليم جلوسستر شاير :

ـ على حالها المالوف يا آنسة

وبعدئذ انطلقت العربة بثلاثتهم . وكانت مارجريت اثناء خبب الفرسيين مدى الاميال الخمسة ، تتمنى بينها وبين نفسها الا يتخذ ابوها ذلك البيت الذى حدثها عنه فى لندن . لانها شعرت برغبتها التامة عن مفارقة هذا الاقليم ، الذى تسفيه الرياح وتراوحه بما فيه من وديان منعزلة ، وتلال عارية تختلف الوانها بين الخضرة والحمرة ، وحيث ايسا رجل مر بهسم على الطريق يلمس قبعته ، لا لمسة الذلة والزلفى ، بل عن سرور قلبى بمطالعة وجهها ووجه ابيها الاثير لديه ...

ولما طامنت الفرسان من ركضهما الى ضرب من الخبب عند المنحنى الكبير ، ظهرت الدار المتبقة لعينيها ، فالقت مارجريت نظرة ثاقبة على لوفل ، لانه خيل اليها ان انعقل يمنع ان يرى انسان تلك الدار من غير ان يطلق صيحة اعجاب

وهتفت وهى تشير الى رسم الدار من بعيد :

ـ هاى ستاو ! ان ستاو فى الواقع هو اسم ذلك التل الذى تراه هناك وفوق قمته هذا البرج . ولكننا نسمى الدار ايضا هاى ستاو !

وكانت الدار قائمة وراء وهده الوادى على مرتفع قليل فى الارض ، ومن ورائها انتشرت التلال وقد ارتسمت معالمها بوضوح خلال اشعة الغروب الاخيرة ، وكانت تلك الدار بناء مربعا متين المنظر مشيدا من صخور رمادية اللون ، ترى بكثرة فى تلال تلك المنطقة . وكانت فى الاصل بيت ريفيا كبيرا بعض الشىء ثم اضاف اليها المالكون بعد المالكين اجنحة واروقة بغير نظر الى التناسق المعمارى ، فجاء الشكل النهائى غير خال من جاذبية مصدرها الطرافة

وموقع الدار رائع ولاشك . ويبدو على بعد كبير للناظر جمال حدائقها التى تشرف من ارتفاعها القليل على بطن الوادى وقد رصعت اكنافها بالوان ناصعة رائعة يمثل كل لون منها حوضا كبيرا من احواض زهور الصيف

وابتسم كيم فرينشام لما ابدته ابنته من حماسة لمسقط راسها وقال :

ـ هذا هو مسكنى الصغير بالوفل . وهو ليس دارا عريقة توارثها الآباء عن الاجداد . فانا لم امتلكها الا منذ اكثر قليلا من عشرين سنة

وما ان استقبلهم مينشن فى البهو حتى ابتدرته مارجريت بذلك السؤال عينه الذى وجهته من قبل الى الحوذى دارنت . وتنهد مينشن وهو يحمل الحقائب واجابها تلك الاجابة بعينها :

ـ ليس هناك تغيير يذكر يا آنسة مارجريت . فقد عاودتها آلام الروماتيزم ، ولكنى الاحظ دائما أن وطاة تلك الآلام تشتد مع ظهور كل هلال

هلال جديد ؟ وهل ظهر فى السماء الهلال ؟ لقد فاتها أن تلاحظ ذلك وهذا بلا ريب احد الاشياء التى يفوت الناس ان يفطنوا اليها فى لندن ...

ولما قاد مينشن الضيف لوفل الى حجرته التى سينزل بها فى الدار صعدت مارجريت مع ابيها الى الطابق العلوى . وكان هذا الصعود هو الرحلة المعتادة كلما عادا الى الدار من الخارج ، حتى ولو كان خروجهما لجولة صباحية بين خمائل الحديقة فما أن يدخلا عتبة الدار وتقع عيونهما على الدرج الكبير حتى يقول هو أو تقول هى :

ـ اوه . ينبغى أن نصعد الآن لنرى كيف حال ماما ...

وكانت هى التى قالت ذلك فى هذه المرة ، ودخل الاثنان عليها معا ، فاخترقا عرض البساط الشرقى السميك حتى مثلا امام الفراش الضخم المصنوع من خشب الموجنة ، باعمدته الاربعة وزخارفه المنقوشة بالحفر فى ذلك الخشب الثمين ، وستائره القرمزية الحمراء المطرزة بطنف من القصب واسلاك الفضة

اجل كانت أمها فى فراشها حيث كانت تتوقع ان تجدها ، وكانت هناك شمعتان كبيرتان مركبتين فى شمعدانين عاليين من الفضة الخالصة ، تلقيان ضوءا مرتعشا فوق جبل صغير من الوسائد الكبيرة والصغيرة . ووسط هذا الجبل ارتسم وجه امراة يتميز بصغره غير المالوف ودقة ملامحه . وكان الرأس والشعر مغطيين بطاقية من المخرمات المالطية الفاخرة ، تبدو من تحتها العينان ينبعث منهما وميض ثاقب ثابت مستقيم . وميض ورثته مارجريت ولكنها ورثته مع زيادة فى النفاذ والدقة وقوة الوقع فى النفس

وارتفع من بين الوسائد صوت رفيع يسأل بهدوء :

ـ اذن قد عدتما ؟

ـ نعم يا أماه

ـ وكيف وجدت لندن ؟

ـ رائعة اشد الروعة

ـ هذا ماقدرت أن يكون عليه رايك . الم تاتيا معكما باحد من هناك ؟

فتدخل الاب فى الحديث ، وقال :

ـ اتينا بصديق لى اسمه لوفل . ومن المرجح انه يمكث معنا بضعة ايام

ـ آه .. فقد خيل الى انى سمعت صوتا غريبا يتحدث الى مينشن فى البهو ... فلى اذنان مرهفتان ... وفى ذلك تعويض لى عن ساقى الواهنتين فيما اعتقد !

وسرعان مادق بعد ذلك الطبل الهندى الذى يقرع ايذانا بالعشاء ، فخرج الاثنان من مخدع الام المريضة . وفيما هما يهبطان الدرج قالت مارجريت :

ـ يخيل الى احيانا انه ربما كان من الخير لها أن تنهض من فراشها ، وتحاول القيام بأى نوع من النشاط العادى

واجابها أبوها وهو يعقد ذراعه فجأة بذراعها :

ـ وهذا ماطالما الح عليه الاطباء منذ زمن بعيد !

وكانت وجبة العشاء مرحة خفيفة الروح ، مع ان الجالسين الى المائدة لم يكونوا اكثر من ثلاثة . واتيحت الفرصة لمارجريت كى

تسمع بوضوح هذه المرة شيئا كافيا عن طبيعة زيارة لوفل ، وعن الغرض منها . فهو قد اخترع شيئا ، على ما فهمت من غضون الحديث ، وهذا الاختراع طراز محسن مهذب لآلة تدار بالبترول وهذه الآلة سيكتب لها على الاقل ان تحدث ثورة كاملة فى جميع نظم النقل فى سائر أقطار العالم

ولم يتحرج شخصيا فى التصريح بذلك . وفطنت منذ اول وهلة الى قدرته الخارقة على عدوى سامعيه بتفاؤله الضخم . وبلوح ان بعض الناس كان الصلة بينه وبين ابيها ، على امل ان يقبل باعتباره رجلا من رجال المال ، أو ربما باعتباره مقامرا مغامرا ، التكفل بهذه المغامرة . وكان من الواضح منذ الآن ان اباها شديد الاهتمام بهذا الموضوع الجديد

وسأل فرينشام ضيفه ان كانت هناك آلة تجريبية او نموذجية تمثل ذلك الاختراع الجديد فى اى مكان . فقال له لوفل ان هذه الآلة التجريبية موجودة ، ولكنها غير تامة فى الوقت الحاضر .

ـ ولكن هل استطيع ان أراها ؟

ـ نعم بالتأكيد تستطيع ياسيدى ان تراها اذا شئت . وهى موجودة فى برمنجهام وتحتاج الى عمل يستمر بضعة اسابيع ، قبل ان تعطى اداء لائقا يفى بالغرض

ثم كانما ضاق لوفل باسئلة ابيها على اعتدالها الواضح ، فانفجر قائلا :

ـ اسمع يامستر فرينشام . انى ارى بوضوح انك لا تريد أن تقدم على شىء من غير برهان عملى . فانت مستريب بطبيعتك . ولست الومك على هذا . ولكنى احب ان اقدم اليك فكرة عما لاقيته من مشاق فى سبيل هذا الاختراع ، واخراجه الى حيز الوجود عمليا . فهناك اولا عقبة الافتقار الى المال الكافى . ولكن ادهى من هذا وامر اننى كنت افتقر الى مكان مناسب للعمل . فالمكان الذى كان تحت يدى عبارة عن حجرة صغيرة يكاد حجمها لا يتجاوز حجم صوان الملابس الموجود فى بيتك ! ولم يكن تحت يدى طريق أستطيع ان أستخدمه لاجراء الاختبارات . فلابد ان يكون الطريق منعزلا . فلو اخرجت آلتى فى اى مكان قرب برمنجهام ، لتجمع حولى فى مدى

دقيقتين خلق كثير

لقد كنت طوال الوقت أقاوم التيار من جميع الوجوه . ولايمكن ان تكون لديك فكرة عن مثل هذا العناء

فقاطعه فرينشام قائلا بهدوء :

ـ لقد جربته فى حياتى السباحة ضد التيار فى ظروف كثيرة ... هذا اذن هو السبب الذى حال دون وجود ثمرة محددة لفكرتك تطلعنى عليها . انى استطيع ان ادرك هذا واقدره تماما . ومهما يكن من شيء ، ففى استطاعتك اذا كان المكان المناسب عائقا جديا ، أن تحضر آلتك الى هنا كى تفرغ منها وتتم انشاءها ؟ وبين الاراضى المملوكة لى عدة اميال من الطرق الخصوصية التى لن يتجمع فيها الخلق مهما بدا لك ان تصنع ...

وبعد فترة صمت طويلة غمغم لوفل قائلا :

ـ انى مدين لك بأعظم الامتنان يامستر فرينشام . وساحضر آلتى الى هنا فذلك العرض الكريم من جانبك سيسهل لى جانبا كبيرا من المصاعب . وان لم يكن لديك مانع فانى استأذنك فى السفر الى برمنجهام فى بكرة صباح غد ، كى اقوم بالتمهيدات والترتيبات الضرورية لوصول ادواتى الى هنا . ولن تطول المدة بعد ذلك فى العمل . فمتى بدات فيه لم يستغرق منى اتمامه اكثر من عشرة ايام ، او ربما كان اسبوع واحد كافيا اذا حالفنى الحظ . وعندئذ .. وعندئذ سترى بنفسك اننى كنت اعنى بحق كل حرف قلته لك . وسوف تقتنع بوجهة نظرى . انا واثق من ذلك ... وعلى يقين جازم !

فابتسم فرينشام ابتسامة من خبر الدنيا وعلمته التسامح مع المتحمسين وقال له :

ـ ليكن . وسوف يقوم دارنت بتوصيلك فى العربة الى شلتنهام غدا صباحا فى موعد يسمح لك بركوب قطار برمنجهام السريع من هناك . والآن ان كنت تشعر بمثل ما اشعر به من الاجهاد ، فلنذهب الى مخادعنا لنلتمس فى احضان النوم راحة من عناء

الفصل الثانى

رحلة

وفى صباح اليوم التالى تولت مارجريت بنفسها قيادة العربة الصغيرة لتوصيل لوفل الى شلتنهام . وكان المفروض ان يقوم دارنت بهذا العمل كما قال والدها بالامس ، لولا ان امها نبتت لديها الرغبة على حين غرة فى التجول بين ازهار الحديقة . وتجوالها منذ مرضت مرضها هذا الطويل كان دائما فى مقعد ذى عجلات . وهى لا تعهد بمهمة دفع المقعد الا الى دارنت . وهكذا اصبح على عاتق مارجريت ان تقود المركبة الصغيرة حاملة الضيف الشاب ليلحق القطار

ولم تكن مارجريت لتبالى هذه المهمة فهى تحب القيادة . ثم انها ستجد الفرصة سانحة امامها لقضاء حاجات شتى فى بلدة شلتنهام فهذه البلدة حافلة بالحوانيت والناس . وهى من جهة ثالثة تحب ان تقوم باطلاع الغرباء على معالم المنطقة ، وان ترشدهم الى المناظر الجميلة والبقاع الطريفة ، وان تنقل اليهم ان استطاعت شيئا من تلك الحماسة العميقة المتسارب فى نفسها لذلك الريف الحبيب اليها

ولكن هذا الغرض الاخير لم يكن من اليسير عليها تحقيقه هذا الصباح وهى فى صحبة لوفل . لانه كان فى شغل عن حماستها بما لديه من حماسة شديدة لمشروعاته . وقد فطنت الى ذلك بعد ان تلقت منه اجابات مقتضبة يسيرة ، تعليقا على ملاحظاتها بصدد المناظر والمشاهد التى يمران بها ، فقالت له بصراحة :

ـ أعتقد انك لا تهتم كثيرا ولا قليلا بهذا كله !

ـ بل اهتم يا آنسة فرينشام كثيرا بما تطلعيننى عليه من المشاهد الجميلة ، وان كنت مشغولا فى اعماق نفسى بامور اخرى .

فلا تظنى انى غير مستمتع بما حولى من جمال . انه ليروقنى . . . كثيرا جدا . بل انى اكاد أجن من فرط السعادة . فلم يسبق لى ان شعرت بمثل هذه السعادة فى حياتى كلها . . .

ـ لماذا ؟

فزاد التفاته نحوها وقال :

ـ لانى اعلم اننى بعد وقت وجيز جدا سأنتهى من اقناعى لوالدك بتبنى اختراعى الجديد . .

ـ حدثنى عنه . . . بالفاظ وعبارات فى مقدورى أن افهمها

وكان هذا هو الموضوع الذى يطيب له أن يخوض فيه . ومتى بدأ تدفق الكلام من فمه فلا يكون ثمة سبيل الى وقفه . ووجد لزاما عليه فى هذا الصدد أن يعود بها الى البداية ، ويصور لها طفولته الاولى وصباه فى البيت وفى المدرسة . . .

وكان لوفل من اهل الاقاليم الوسطى ووالده رئيس عمال فى مصهر وهو شخصيا كان صبيا يتعلم صنعة نفخ الزجاج فى احد المصانع . وظل مثابرا على هذه المهنة حتى سن السابعة عشرة ، وفى تلك السن ضاق ذرعا بهذه المهنة التى تخنق اطماعه العريضة ، فقاده طموحه الى دراسة هندسةالآلات ، ومنذ ذلكالحين وهو يكافح فىهذا الميدان حتى الوقت الحاضر . وقد بلغ الآن السابعة والعشرين . . .

ـ . . . وفى هذه السنوات العشر ما اكثر الليالى التى بتها على الطوى ، لاشترى بثمن طعامى اداة باهظة الثمن لا غنى لى فى ابحاثى عنها . وكنت استيقظ كل يوم فى الرابعة صباحا ، لاعمل فى تجاربى الهندسية قبل أن اتوجه الى عملى الرسمى فى مصنع الزجاج . قضيت هذه السنوات العشر فى كفاح قاس . ولكن اذا اعطيتنىعشر سنوات اخرى فانى زعيم لك أن تطبق شهرتى الآفاق . انا واثق أن هذا اليوم سيجىء حتما !

ولما وجدها لا تعلق على ذلك الكلام بشىء استطرد قائلا :

ـ اعلم انك تظنين بى الغرور والادعاء . وهذا ظن لفيف كبير من الناس بى . ولكن لا حيلة لى فى هذا . وشعورى بما اقول شعور صادق لا تزوير فيه ولا ادعاء . ثم لا تنسى اننى ما كنت لامضى فى كفاحى كما فعلت لو لم تكن لدى هذه الثقة الضخمة بنفسى

وكان ذلك النهار يبشر من بدايته بارتفاع الحرارة . فها هى ذى التلال وهما يقبلان على مشارف شلتنهام تتوارى من الاعين وراء ضباب في لون اللبن . وعرضت عليه ان تلقاه بالعربة عند المحطة حين عودته فى المساء . ولم تنسه حماسته ان يسألها على سنة المجاملة المهذبة :

ـ اليس فى ذلك انقال شديد عليك ؟

فاجابته قائلة :

ـ كلا . . . فهذا اهون بكثير من العودة الآن الى الدار وارسال دارنت بالعربة بعد الظهر . وفى استطاعتى اذا قضيت النهار هنا أن انتقل بين الحوانيت عسى ان اجد شيئا احب ان اقتنيه . ولى أخت اصغر منى اسمها ليلى تطلب العلم فى مدرسة هنا . فلن يثقل على قضاء سحابة النهار على وجه ممتع . اؤكد لك هذا

وبعد ان ركب قطاره السريع ذهبت بالعربة والجواد الى احد الاسطبلات ، ثم اخذت تتمشى فى الشارع الرئيسى الذى يمتاز بعقود من البناء على جانبيه تتيح ظلا رطيبا تحت اقواسها . وذكرتها واجهات الحوانيت بحوانيت لندن وواجهاتها ،وصعب عليهاان تصدق انها كانت هناك منذ اربع وعشرين ساعة فقط . فان كل ابهة ذلك الاسبوع الرائع ، وذلك الحشد الهائل من التزاويق والزخارف ، بل ومنظر الملكة فيكتوريا العجوز المسكينة فى عربتها الملكية الفخمة . . . كل هذا قد بهت واصبح من مخزونات ماض لا تكاد تتبينه العين

وبعد الظهر توجهت لزيارة ليلى فى مدرسة خصوصية راقية لبنات الاسر الكبيرة عند مشارف المدينة . وهى بعينها المدرسة التى تلقت هى نفسها دروسها فيها منذ سنوات . والحق انها كانت تلميذة صعبة المراس ، لقيت المعلمات عناء شديدا فى حملها على احترام النظام والمثابرة على الدرس . ووجدن عناء اشد فى حملها على الاقلاع من عاداتها المثيرة لاستنكارهن الشديد . فقد كانت ولم تزل تمشى مشية الرجال ، وتحدق تحديقا ثابتا قاسيا فى الغرباء ، ولا تبالى أن تبدى رأيها الصريح فى شىء !

اما ليلى فهى على خلافها فى كثير جدا من الصفات . فهى ظاهره الانوثة بصورة ترضى معلماتها العوانس ، ذات اسلوب دمث فى التعبير

والسلوك والمشي . وهي ايضا اجمل بكثير من اختها الكبرى ، واكثر بشاشة وميلا للمزاح . وكانت الناظرة تقول عنها :

ـ ليلي فرينشام اجمل فتاة في شلتنهام . ولو ان والدها قام بما ينبغي عليه نحوها لتزوجت زواجا مرموقا جدا !

وتلطفت الناظرة فسمحت للفتاتين بتناول الشاي معا . فوجدت مارجريت اختها ليلي مهتمة جدا بسماع ما ترويه لها عن مشاهداتها في اسبوع اليوبيل الذهبي للملكة في لندن . ولما فرغت مارجريت من روايتها ، مطت ليلي شفتيها وقالت :

ـ لم يحسن ابي صنعا اذ اخذك معه ولم ياخذني . فانا واثقة انني كنت ساستمتع بذلك كله عشرة اضعاف استمتاعك . فانت دائما هادئة ولا اعتقد انه يمكن ان تهتز اعماقك استمتاعا بشيء . واعتقد ايضا انك راضية كل الرضا بمواصلة الحياة على الاسلوب القديم في هاي ستاو ، اليس كذلك يا مارجريت ؟

فاجابتها بكل هدوء :

ـ هذا صحيح . ولكنك فيما اعتقد لا تحبين كثيرا حياة الريف !

ـ بل انني امقتها

ـ اذن سيسعدك ان تسمعي مني ان والدنا يفكر في اتخاذ بيت في لندن في الموسم القادم

فصفقت ليلي بيديها في جذل شديد وصاحت :

ـ لندن ؟ لندن ! اوه يا مارجريت ، هل هذا صحيح ؟ وستكون ثمة استقبالات ومراقص وارتياد للمسارح و . . .

ثم كفت عن الكلام فجاة وسالتها في انتشاء :

ـ خبريني بربك : الم تقع عيناك في لندن على رجال ذوي وسامة وجمال ؟

ـ لم اجعل همي في ذلك

ـ ولكن الم تقع عيناك على احد ؟

ـ لم ار هناك فيما اعتقد احدا يضارع ابي وسامة وجمالا

فهزت ليلي كتفيها في استياء وقالت :

ـ اوه . انت كعادتك تحاولين الظهور بمظهر البراعة .. وانا اكره هذا ! اتعرفين ان هناك رجلا وسيما وسامة مدهشة واننا نراه

كل يوم تقريبا ... لانه يتمشى على طول الطريق خارج هذه المدرسة في اوقات منتظمة جدا ؟ واظن انه نقيب في فرقة الفرسان . وله اشهى عينين وشارب . ومنذ ايام كنت اطل من الشرفة فرآني وابتسم ....

وبعد ساعة استقبلت مارجريت لوفل عند وصوله . وكانت روحه المعنوية لم تزل عالية . وكذلك كانت معنوياتها ايضا . ولكنهما لم يكثرا في رحلة العودة من الحديث مثلما اكثرا منه في رحلة الذهاب . واطبقت العتمة عليهما قبل ان يصلا الى هاي‌ستاو بوقت طويل ، وظهر الهلال عاليا في قبة السماء ، فبدت حقول الغلال الترامية كانها بحار من الفضة

وبعد فترة صمت طويل ساد بينهما قالت له :

ـ انك لم تزل تفكر في اختراعك هذا ، اليس كذلك ؟

فقال بعد شيء من الروية :

ـ بلى . افكر فيه ... وانت فيم تفكرين ؟

فاجابته ببساطة وصراحة اذهلته :

ـ فيك انت !

وبعد يومين وصلت ادوات عمله من برمنجهام في عدة صناديق كبيرة ، فانكب على العمل فورا بهمة ونشاط عظيمين . فكان يبدا العمل عادة قبل الساعة السادسة من الصباح ، ويظل مثابرا عليه الى وقت العشاء ، باستثناء فترتين قصيرتين للافطار والغذاء . وكان حريا ان يستمر في العمل بعد العشاء ايضا لو ان فرينشام ترك له فرصة لذلك

وفي كل ليلة بعد تناول القهوة كان يدلي ببيان عن عمله في ذلك اليوم ، في لغة فنية حافلة بالاصطلاحات . فكان من العسير على مارجريت ووالدها أن يدركا على وجه الدقة مراده بالضبط . وكان وميض عينيه يزداد توقدا وهو يتحدث عما احرزه من تقدم في يومه فكانت مارجريت تشعر ان بداخله حيوية تمده بقوة جاذبية غريبة

وذات يوم اشتدت الحرارة حتى انه بعد الظهر وقع فريسة للجو الخانق ، فانهارت مقاومته وسقط بين ذراعيها وهي واقفة وراءه

ترقب ما يصنع . فاضطرت الى حمله بين يديها حملا بغير مساعدة من أحد الى خارج العريشة ،وارقدته على ارض الفناء الداخلى لحجرة الالبان وحظيرة البقر . فلما افاق من الاغماء بعد ذلك ظهرت عليه دهشة بالغة وقال لها :

ـ لابد انك قوية قوة خارقة

فأجابته ببساطة قائلة :

ـ نعم . انا قوية جدا !

واحمر وجهها احمرارا شديدا تحت نظرة الاعجاب السافر التى طالعها بها ، ثم استطردت وانفاسها تلهث قليلا :

ـ لقد اسرفت على نفسك فى مواصلة العمل رغم حرارة الجو . ويجب عليك الان أن توقف العمل برهة ... على الاقل الى ان تتلطف انفاس الهواء بعض الشيء

وكم ادهشها انه انقاد لرايها على الفور ، واجابها وهو مستمر فى التطلع اليها بذلك الاعجاب الصريح :

ـ ساعتبر نفسي فى اجازة طول يوم غد اذا شئت ذلك . وربما اذا كان الجو معتدلا ، واذا ... اذا تكرمت انت ذهبنا معا لتريني المواضع الطريفة فى هذه المنطقة . فانا واثق ان للطبيعة فى هذا المكان مكامن كثيرة للسحر والطرافة

وكانت مسرورة جدا لماتتوقعه فى تلك الرحلة من متعة . ومسرورة جدا لانه هو الذى اقترحها بادئا . وكم كان غريبا فى نظرها ايضا أن يعلق بهذه الدهشة على قوتها البدنية الفائقة .حتى انها الان فجاة شعرت بقوتها تربو وتزداد فى داخلها كأنها نافورة يثور ماؤها بحيث أحست بدمائها تضطرب بتلك القوة الفوارة فى عروقها

وواجهته بنظرات عينيها الثاقبة المستقيمة التى لا تعرف خوفا ولا ترددا ، وقالت بثبات :

ـ سنتجول فى انحاء التلال . ونتجاوز تل ستاو الى تورث ليدج ثم نعود مخترقين تل ستاو مرة اخرى ...

ـ سنذهب حيثما راق لك الذهاب

ولاول مرة رات فى عينيه ذلك الوميض العجيب من غير ان يكون تفكيره منصبا على آلته التى تدار بالبترول

وفى تلك الليلة دار حديث طويل بينها وبين والدها . فقد صعد الوالد الى حجرتها بعد أن اوت الى فراشها . ودار الحديث بينهما فى البداية حول لوفل . فقال :

ـ اخبرنى مينشن ان الحرارة كانت شديدة الوطأة حتى عجز صديقك عن احتمالها بعد الظهر . ولم يدهشنى هذا . فلا ينبغى أن تتركيه يفرط فى العمل فى هذا الحر ... وبهذه المناسبة ، ما رايك فيه يا مارجريت ؟

ـ استلطفه

ـ ان فكرته عن نفسه فكرة رائعة كما تعلمين

ـ هذا صحيح

فابتسم وقال لها :

ـ انت طبعا لا يضيرك هذا ... ولكنى اخشى ان امك تشعر فيما يبدو بنفور من نحوه

ـ لم اكن اعلم انها قابلته ولو مرة واحدة

ـ وهى فعلا لم تقابله . ولكنها فقط راته من بعيد حينما كان دارنت يدفعها فى المقعد ذى العجلات بين مماشى الحديقة . ولكنها بالطبع كما تعلمين ذات بدوات خاصة . تكره أو تحب بغير اسباب

وسكت قليلا ثم قال فى اسى :

ـ ولا اظن ان حالتها الصحية آخذة فى التحسن ... ولو كنت اعرف ما الذى يمكن ان يدخل السرور عليها لما ادخرت فى سبيل ذلك وسعا ولا نفقة . فالواقع يا مارجريت اننى بدأت اشعر بالرغبة فى الاستقرار ، لاننى جمعت من المال ما اريد وطويت صفحة المغامرات من سجل حياتى . والبيت هو المكان المناسب لرجل فى مثل سنى . فانا الآن فى الرابعة والخمسين كما تعلمين . ولكن البيت ...

وقطع كلامه والقى اليها بنظرة خاطفة ثم قال :

ـ اظنك تعرفين ماذا اعنى

وردت على نظرته بنظرة فهم وعطف سريعة ولم تتكلم . فالموقف كله كان يبدو حافلا بالسخرية بحيث يصغر ازاءه كل تعليق ... فالمراة التى تزوجت من رجل كابيها ، لا تكترث قتيلا سواء جاء الى البيت او غاب عنه الايام والاسابيع . وسواء اخذها معه فى اسفاره او

خلفها وراءه . فلا تسأله اين هو ذاهب ولا من أين جاء ، ولا ينهض الالم عذيرا لها فى سقوط المبالاة ، ولكن فكرة الالم حملت مارجريت على ان تقول :

ـ اعتقد ان امى تعانى من الآلام اكثر بكثير مما نتصور

فاجابها ابوها بحماسة :

ـ هذا ما كنت ميالا على الدوام الى اعتقاده ، ولكن الطبيب فرجيسون يؤكد لى دائما انها لا تشكو شيئا . وانما هى أعصابها.. ويؤكد لى ايضا انها لو جمعت امرها وحملت نفسها على مغادرة الفراش والاختلاط بالناس لتحسنت حالتها تحسنا عظيما . وما كنت لاقول لك هذا كله لولا أن ملاحظة لك منذ بضعة أيام دلتنى على أنك ستنتهين الى هذا الرأى بنفسك

ـ وما القول فى الروماتيزم ؟

ـ فرجيسون يقول أن هذا كله من تأثير الاعصاب ، ولكن لا تظنى بالطبع اننى احاول التقليل من آلامها بهذا القول . . . فكل ما هناك اننى اتمنى لو بذلت مجهودا صادقا للمقاومة . وانا مستعد للتضحية باى شىء فى سبيل اذكاء اهتمامها بأى نوع من أنواع الهواية أو التسلية ، وكان هذا هو الدافع الاول لى على اتخاذ بيت فى لندن. . .

واستطرد وهو يضع يده الكبيرة بحنان فائق فوق كتفها :

ـ لقد بذلت خير ما فى وسعى فى سبيل اقناعها فلم افلح . ولا ادرى ان كان لك اى تأثير عليها على كل حال أرجو أن تحاولى انت ايضا . وانت تعلمين طبعا ماذا اعنى

فهزت راسها . وعاد الى وجهه الاشراق وهو يقبلها ويتركها لتنام ولكنها ظلت تفكر فى امها ، ولم تفهم كيف امكن تلك الام الا تهتم بذلك الاب . واخذت تتنسم فى الهواء رائحة الصابون والسيجار المعطر التى يتركها ذلك الاب الفخم وراءه حيثما يكون . فهو يتألق بالنظافة والوسامة والقوة ، حتى انه يبدو ملكا بين سائر من عرفتهم من الرجال . وخطر لها انه ربما كان فى سنوات كفاحه الاولى شبيها بلوفل . وانه لو قدر للوفل النجاح لاضفى عليه ذلك بهاء شبيها ببهاء أبيها ورونقه . . .

الفصل الثالث

تحت المطر

انهمر المطر مدرارا فى صباح اليوم التالى فكان ذلك مثار ضحك كثير بينها وبين لوفل على مائدة الافطـــار . ولما جلسا فى قاعة الاستقبال حاولت ان توحى الى نفسها بأنها تشعر بخيبة امل غير عادية . ونهضت الى المعزف فأدت عليه قطعة موسيقية بطيئة الحركة هى سوناتا ضوء القمر ، وجاء هو فوقف معتمدا بمرفقيه على المعزف . وصبح عندئذ بينها وبين نفسها وفى هدوء انها تستلطف هذا الشاب اكثر مما استلطفت اى شاب آخر فى حياتها كلها . ولاحظت فوق هذا ان وجوده لا يشعرها بأى توتر عصبى ، بل انها على العكس تحسن العزف تحت نظراته اكثر من مالوف عادتها . ولما اتمت المقطوعة دارت بسرعة فوق المقعـــد الدوار ، ورفعت اليه وجهها بتحديقها الصريح

واتجه مجتازا القاعة الى النافذة ، واخذ ينظر الى المطر المنهمر بلا انقطاع . وكان المنظر حينئذ رائعا ، وتربة الأرض والتلال تبدو وكأنها تشرب الماء بشغف . والاشجار المثقلة بثمارها تهتز اعطافها وهى تتقبل منحة السماء . . .

وسمعته يقول من غير ان يحول نظره اليها :

ـ لشد ما احب المطر !

فقالت على الفور :

ـ انا لا احبه عندما يحول بيننا وبين الخروج

ـ وهل من الحتم ان يحول بيننا وبين الخروج ؟

وبعد بضع دقائق كانت تواجهه وهى مرتدية معطفهـــا الابيض اللامع الواقى من المطر ، وتقدم اليه مظلة سوداء :

ـ هذا ماكنت اريد أن اقدم عليه ولكن لم يخطر ببالى انك تحب السير تحت المطر مثلى ...

وبينما هما يسيران فى هذه الوحدة تحت المطر حدث مرة أو مرتين انه تناول ذراعها ليعينها . فكان يضغط عليها

وخفت حدة المطر برهة وهما يجتازان منعطف النهر ، ويخوضان اعشاب البرية موغلين نحو تل ستاو الكبير . وتل ستاو يبلغ ارتفاعه نحو ستمائة أو سبعمائة قدم . وان كان يبدو أعلى من ذلك كثيرا ، عندما ينظر اليه الانسان من نوافذ الدار

واوحى اليهما تراخى شدة المطر ان يشرعا فى الصعود . ولكن فى منتصف المسافة عاد المطر الى الانهمار بشدة فاسرعا يجريان للاحتماء منه بين مجموعة من اشجار البلوط نابتة على نتوء فى التل . وقالت له وهى تجذبه من يده :

ـ انا اعرف مكان هذه الاشجار جيدا ، وكثيرا ما كنت العب بينها انا وبومى ونحن طفلان

فسألها متعجبا :

ـ بومى ؟

ـ نعم بومى . انه اخى . واسمه الحقيقى بوم روى . ولكننا كلنا نناديه بومى . وكان منذ نشأته غير قوى البنية ، ولذا الحقه والدى بعمل فى كاليفورنيا حيث المناخ معتدل دافىء . فهو فى سان فرنسسكو فى الوقت الحاضر .. فى السلك القنصلى

ـ اظنكما كنتما لا تفترقان ؟

ـ كنا دائما معا . وكان اشقى وقت مر على فى حياتى هو الفترة التى اعقبت رحيله ...

واسرعت تخترق مسافة بين الاشجار ، ثم اشارت الى جذع شجرة ضخمة رأتها هناك :

ـ انظر . هاهى ذى الحروف الاولى من اسمينا . نقشناها يوم عيد الميلاد الثامن ليومى بهدية تلقاها هدية فى تلك المناسبة . ولا بد انى كنت يومئذ فى الخامسة من عمرى . وتستطيع ان ترى بنفسك كم كنا صغيرين ، حتى أن يدينا لم تصلا الى هذا الارتفاع

وعلى ارتفاع نحو باردة واحدة فوق سطح الارض رأى لوفل اربعة

احرف كبيرة غير جيدة النقش : ب . ف ، م . ف . ونظر لوفل الى الحروف الاربعة بامعان ثم اخرج بسرعة غريبة مدية من جيبه وسألها باسما :

ـ هل يجوز لنا ان نضيف الحروف الاولى من اسمينا فى هـذا اليوم ، أم ان ذلك يكون امتهانا لقدسية الذكرى ؟ فلننقشهما فوق الحروف السابقة حتى تستطيعى أن تحددى مبلغ نمو قامتك منذ ذلك التاريخ ... أتسمحين لى ؟ دعينى انقش حرفى اسمى نيابة عنك

واحست بسخونة الدماء فى عروق عارضيها وهى تقول :

ـ كما تريد !

واخذت ترقب أصابعه وهى تتحرك فوق جذع الشجرة . وسرعان ما اتم نقش م . ف . ثم تحتها مباشرة ف . ل . ثم قال لها :

ـ اسمى فيليب . واظن بهذه المناسبة سأناديك فى المستقبل مارجريت . اليس كذلك ؟

فأجابته على الفور :

ـ وهو كذلك يا فيليب !

فنظر اليها نظرة ثاقبة كانما اخذ على غرة وقال :

ـ هيا بنا يامارجريت . هيا نتسلق التل ، فقد تراخت شدة المطر مرة اخرى ...

وكانت شدة المطر قد تراخت فعلا ولكنه عاد الى اعنف من شدته الاولى قبل أن يصلا الى القمة . ومن القمة لم تقع عيناهما على منظر سوى منظر الوادى الممتد ينصب فوقه المطر . وكان برج المراقبة الذى بنى قديما ليكون من علامات الطريق التى تشاهد على مسافة كبيرة جدا من جميع الجهات ، ينهض شامخا فوق راسيهما كالديدبان الاسود

وحدثته عن تاريخ ذلك البرج ، وكيف أن سيدا من رجال القرن الثامن عشر جعل منه مرقبا للنجوم ، لان ذلك السيد كان شغوفا بعلم الفلك :

ـ ان داخله طريف جدا . وهو طبعا داخل حدود ممتلكاتنا وان كنا لا نجنى منه اية فائدة . ولو كنت ادرى سلفا أننا سنأتى الى

هنا لجئت معي بالمفتاح

فأخذ يدور حول البرج كأنه حيوان متأبد . أو هذا على الاقل ما خطر لها وهي تراه يغوص في الطين الى عقبيه ويواجه المطـــــر والرياح ، وكأنه لا يحفل بها . وسمعته يغمغم :

ـ كنت احب ان ارى ماذا يبدو من الداخل

فقالت :

ـ للأسف لم افكر في احضار المفتاح

وبعد قليل سمعته يناديها من الجانب الآخر :

ـ مارجريت ! استطعت ان افتح الباب . فتعالى وانظري !

فجرت تدور حول البرج ، وبعد لحظة كانا معا داخل البرج المظلم الذي تفوح منه رائحة الرطوبة وقد اغلق الباب وراءهما لمنع تسرب المطر . وقالت :

ـ لم آت الى هنا منذ زمن طويل . انقضت سنوات طويلة منذ آخر مرة كنت فيها هنا

ـ مع بومي فيما اظن ؟

ـ نعم

فواجهها وهو يقول لها :

ـ وهانتذي الان هنا معي انا

فاجابته ببساطة وهي تسبقه الى الداخل :

ـ هناك خزانة صغيرة فوق هذه الحجرة كان ذلك العجوز يجلس فيها أمام منظاره المقرب

ـ هل كان مسنا ؟

ـ لعله لم يكن مسنا في البداية . ولكن هـذه الهواية استمرت زمنا طويلا

ـ لابد انه كان انسانا غريب الاطوار !

ـ نعم وهناك اساطير كثيرة تدور حوله على السنة سكان المنطقة

وصعدا معا السلم العتيق الذي كان ينخره السوس ، الى ان برزا اخيرا فوق سطح دائري تغطيه الاقذار والتراب بطبقة كثيفة . وبعد لحظة صمت قال فيليب :

ـ لم اعد استطيع ان اطرد من ذهني صورة هذا الرجل الذي عاش

منذ زمن بعيد ، وهو يتسلق التل فى الليالى الصافية التى تسطع فيها النجوم ، كى ينعم النظر فى السماء من وراء منظاره المقرب ... يالله من عمل موحش !

ـ يقولون انه لم يكن دائما بمفرده ؟

ـ حقا ؟

ـ هناك كما قلت لك أساطير كثيرة تدور حوله وحول حياته . ويقولون انه كان من عادته أن يختطف الفتيات الحسان من جميع القرى المجاورة ويأتى بهن الى هنا فى الظلام

ـ يختطف ... البنات ؟

ـ نعم . واظنهن كن من فرط الفزع منه ومن الظلام لايجسرن على القائه من فوق التل كما كنت حرية أن أفعل لو كنت فى مكانهن !

وكانت تتكلم بهدوء شديد وبجد شديد . ومع هذا فكان تعليقه عبارة عن ضحكة حادة ترددت خشونتها فى المكان الساكن ، ثم قال وهو يتحسس عضلة ذراعها فى الظلام :

ـ اظنك كنت تفعلينها . وأنت قديرة على ذلك !

ومشت خطوات فى ارجاء المكان ولكنها تعثرت بذيل ثوبها الواسع فتمزقت أجزاء منه . واخذا يضحكان فى الظلام لانها كلما ارادت تخليص ذيل ثوبها من قدميها تمزقت أجزاء منه . وانحنى هو ليحاول تحسس الاضرار التى وقعت ، فخيل اليها أن ضجة الرياح والمطر قد زاد وقعها فجأة على اذنيها !

واثارت حركة يديه فى الظلام التراب الذى تراكم على الارض منذ سنين فملأت أنفها رائحة غريبة هى رائحة الزمن ، ممزوجة على نحو ما برائحة الاثم . وكأنما كانت الأعمال الغامضة التى ارتكبت منذ أكثر من قرن فى هذا المكان عالقة بترابه بل مستزجة بطلاء جدرانه

وبعد قليل عاد الى الحديث عن آلته البترولية . واخذت تصغى لما يقول وقد ازدادت حواسها ارهافا . كأنها استشعرت شيئا من العداء أو التقابل بين حماسته وبين رائحة التراب المحيط بهما . كان ذلك التقابل رمز للمعركة الناشبة بين الخير والشر فى العالم . واحست بنفسها وقد انضمت الى صفه فى تلك المعركة بحماسة

شديدة . وفى الوقت نفسه كانت تحدث نفسها من غير مبالاة ، شأن عقلها الناضج العملى دائما بأنه بعد أيام معدودة سيكون قد اتم عمله ، واعد آلته الجـــديدة للعرض على والدها . وبعدئذ سيعود بالطبع الى برمنجهام

بل انه اعاد على سمعها ما فكرت فيه بالفاظ شفتيه ، فقالت له :

ـــ اتعود الى برمنجهام حتى ولو قرر ابى أن يتولى انتاج اختراعك وتمويله نهائيا ؟

ـــ حتى لو حدث هذا . فلا اظن انى استطيع ان استقر بصفة نهائية فى داركم . اليس كذلك ؟

ـــ لا اظن ذلك ممكنا

ويظهر ان شيئا ما ـــ ان حقيقة وان تخيلا ـــ فى لهجتها ونبرة صوتها دفعه الى ان يسألها :

ـــ اتتمنين لو اننى استطعت البقاء فى بيتكم باستمرار ؟

فاجابته ببطء كأنها تفكر فى الأمر جديا :

ـــ لا ادرى . فمنذ رحل بومى وانا اشـــعر بالعزلة الشديدة والوحشة احيانا كثيرة ... ولكنى استمتعت بصداقتنا كثيرا

ـــ وكذلك انا

وفجأة طوقها بذراعيه القويتين . فقاومت قليلا . ثم اطبقت شفتاه على شفتيها فشعرت بدفء وفورة شديدين ، الى حـــد الالم . ومع هذا كان كل ما خطر بذهنها ان هذه القبلة مسحت كل الآثام التى ترين رائحتها على البرج العتيق من حولهما ، حتى لم يعد لبقـايا هذه الآثام اثر

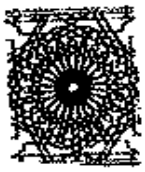

الفصل الرابع

عاصفة

في ليالي الصيف الطويلة التي أعقبت ذلك اليوم المطير ، امسى من عادتها أن تجلس الى النافذة المفتوحة في قاعة الاستقبال ، عندما يكون فيليب ووالدها مشغولين بالكلام والمناقشة حول مشروعهما المشترك. وكانت تلك الامسيات رقيقة الانسام ، رطبة الهواء هادئة . وكانت جميع الروائح الزكية التي تنبعث من أشجار الحديقة المترامية تتوافد الى مكانها من النافذة المفتوحة ، وتمتزج في خياشيمها برائحة الطباق الذي يتصاعد دخانه من حيث يجلس الرجلان اللذان تحبهما ...

وكان يشق عليها أن تعرف على سبيل القطع ايهما احب اليها ... ذلك ان حبها لفيليب بدا لبصيرتها الواعية وكأنه قد استشرى في كيانها ، حتى امتص وتمثل وتغذى على كل حب آخر اكنه قلبها لانسان من البشر ...

كانت سعيدة ضربا من السعادة بلغ حد الروعة . حتى أنها كانت تغيب عن الوجدان الواعي بما حولها من تفاصيل الواقع المحسوس . وعلى هامش حلمها الجميل كانت تتردد انغام كموسيقى مواكب التهليل ... ولم تكن تلك الانغام الا مقاطع من عبارات الرجلين ترتفع طبقة او طبقتين فوق المستوى العادي لحديثهما المتصل . فيقول ابوها :

ـ على رسلك يا لوفل ، يا ولدي ...

وعندئذ يطغى على صوت ابيها قول فيليب في حماسة :

ـ انا واثق من ذلك يا مستر فرينشام . واثق تمام الثقة ؛

وكانت تعلم انها تريده اكثر مما خيل اليها . او اعتقدت انها يمكن ان تريد شيئا او انسانا في يوم من الايام ! وكانت حرية ان تذهب الى

ابيها وتنفض بين يديه الحقيقة المجردة ، كعادتها منذ كانت فى كل شأن من شئونها ، لولا ان فيليب كان له فى ذلك راى آخر

وكان موقفه غريبا فى نظرها : لانها كانت تتوقع منه ان يبدى من الحماسة واللهفة على اتمام هذا الامر بينهما ، مثل الذى يبديه من الحماسة واللهفة بسبب آلته التى تدار بالبترول . ولكنه لم يكن متحمسا لهفان . بل كان هادئا وحذرا الى حد كان يسخطها ويثير غضبها . وكانت حجته التى ادلى بها :

ـ انى ارى على العموم انه من دواعى الحكمة الا نخبر والدك بشىء فى الوقت الحاضر على الاقل ... ولا نخبر احدا على كل حال بما بيننا . فان اسرتك ليس من المرجح ان تطير فرحا بمثل هذا النبأ . فليس هناك ما يدعو اذن لاستعجال ظهور العراقيل وهبوب الاعاصير

ـ ولكن ابى يحبك حبا عظيما . انا اعلم هذا !

ـ نعم يحبنى حب الحامى لمن يلوذ بكنفه ويرعاه . ولكنه ليس حب الرجل لشاب يرتضيه زوجا لابنته

ـ ولكنه سيحبك هذا النوع من الحب ويرى فيك زوجا لائقا بابنته اذا علم اننى اريدك لى زوجا

فهز راسه وقال :

ـ كلما عظم حبه واعزازه لك يا مارجريت كان ذلك ادعى لكراهته ان يراك تلقين نفسك هدرا على عنق مخترع مفلس ...

ـ ولكنك لن تظل مفلسا على الدوام . اليس كذلك ؟

ـ انا واثق اننى لن اكون مفلسا على الدوام . ولكن ليس بين يدى الآن ما اعزز به موقفى ومطلبى . وهذا هو السبب فى انى اريد ان انتظر الى ان اتم آلتى ، واعرض عليه نموذجا . وعندئذ لابد ان يدرك حقيقة مواهبى . لن يكون له من ذلك مناص

وذات صباح من ايام شهر يولية ، اذ هى منهمكة فى مراقبة فيليب وهو يعمل تحت العريشة ، نادتها امها من شرفتها . فصعدت اليها وتربت من مكانها مقعدا مصنوعا من القش وقالت وهى تجلس اليها :

ـ يبدو عليك تحسن ظاهر يا امى

ـ حقا ؟

ـ نعم . انت احسن بكثير . وانا واثقة انك استفدت كثيرا من

الخروج الى الهواء الطلق فى الشرفة اليوم . ولينك تنهضين فتغادرين الفراش كل صباح كما فعلت اليوم !

ـ اوه !

ـ انا وبابا نعتقد كلانا . . .

وتوقفت عند هذا الحد لانها احست بالتسرع وبانها اساءت معالجة الموضوع ، وانها اندفعت فى مفاتحة امها تلبية لرغبة ابيها بغير كياسة ولكن ذهنها فى الواقع لم يسعفها كثيرا لانها لم تكن فى هذه الايام تفكر فى امها اطلاقا . بل ولا فى ابيها ايضا . لأن صورة فيليب هى التى كانت مسيطرة دون سواها على تفكيرها كله . . . صورة فيليب وهو واقف امام مشروع اختراعه ، وقد شمر قميصه واشعة الشمس تنعكس على عضلاته القوية الداكنة

وتكلمت امها فى موضوعات شتى فترة من الوقت ثم قالت :

ـ انا اعرف جيدا يامارجريت وجهة نظرك انت وابيك بشأنى والآن اما وقد رايت انت من اللائق ان تقدمى الى النصح ، فلعلك تبدين استعدادا لتحمل النصح الذى ارى لزاما على ان اسديه اليك

ولم تجب مارجريت . لان ذهنها لم يسعفها بأى معنى واضح محدد لذلك الكلام . فكل ما فى ذهنها من الوضوح منصب على تلك الصورة الفريدة التى لا شغل لها بصورة سواها

واستطردت امها تقول بهدوء :

ـ ونصيحتى هى . . . دعى مغازلة ذلك الرجل لوفل !

واستيقظ ذهنها دفعة واحدة :

ـ مغازلة ؟ . . . هل قلت مغازلة ؟

ـ هذا ما قلته

ـ لم نكن نتغازل !

ـ اذن ماذا كنتما تصنعان حتى الآن ؟

لا جواب !

ـ انى احذرك يامارجريت من هذا الرجل . فانا افهم الرجال ، وان كنت قد لا تصدقين ذلك . فهذا الرجل لا يعنيه شىء فى الدنيا سوى طموحه ومطامعه

ـ ليس هذا صحيحا فانت لا تعرفينه . وانا لا استطيع ان احتمل

سماعك تتحدثين عنه على هذه الصورة ! وانا لا ابالى بما تقولين ... فهذا لن يقدم ولن يؤخر !

ـ آه ... هذا ما قدرته . اذن فكل شيء متفق عليه بينكما ؟

ـ نعم !

ـ اتظنين انك ستتزوجينه ؟

ـ بل أعلم انى سأتزوجه !

ـ اتتوهمين ان والدك سيوافق ؟

ـ ولماذا لا يوافق ؟

ـ اتعتقدين حقا انه سيوافق ؟

ـ انا ... لا ادرى ...

ـ فى استطاعتك ان تعرفى الجواب اذا سألته صراحة

ـ كان فى نيتى ان اسأله رأيه . وكان ذلك فى نية فيليب ايضا . ولكننا فضلنا ان ننتظر الى ان ... الى ان ...

ـ الى ان يتأكد من انه سوف لا يطرد من البيت قبل الفراغ من انشاء آلته الجديدة ... نعم هذا شيء مفهوم . فالآلة الجديدة لها الاعتبار الاول عنده ، لا انت ... ولكنى على كل حال قد حذرتك ، وهذا كل ما استطيع أن أصنعه . والان يحسن أن تبحثى عن مينشن وتطلبى اليه ان يأتى لدفع مقعدى

وكان البيت خاليا لأن والدها كان قد ذهب الى شلتنهام لقضاء سحابة النهار هناك بسبب بعض اعماله . وقد تولى بنفسه قيادة العربة الصغيرة كما يحلو له دائما ان يصنع فى الايام الساطعة الشمس وفيليب كان تحت العريشة ... فشعرت فجأة بتعاسة شديدة . واستولى عليها احساس بأن السعادة الرائعة الصافية التى تمتعت بها فى الماضى القريب لا يمكن ان تدوم ، وليس مقدرا لها ان تدوم . وخيل اليها ان اشعة الشمس نفسها قد غشيتها كآبة معتمة ، فاتجهت الى نافذة حجرة الاستقبال واطلت على الحديقة . وعندئذ تبينت ان هذه العتمة ليست وهما . لأن سحابة من ضباب خفيف لبنى اللون كانت قد غشيت صفحة السماء كلها . وسكن الهواء وازدادت الرطوبة والحرارة ، مما ينذر بهبوب عاصفة من عواصف الصيف

وغادرت البيت الى الحديقة واتجهت نحو العريشة . فرأته حيث

تركته منصرفا الى العمل . وهز لها راسه وابتسم ، ولكنه ما كان يبتعد ولو لدقيقة واحدة عن ذلك الهيكل الغريب الشكل من التروس والاسطوانات . وقفزت الى ذهنها فى التو واللحظة كلمات امها اللاذعة « انها الآلة الجديدة . هى وحدها لها المقام الاول من اهتمامه . لا انت ، فهل لهذه الكلمة نصيب من الحقيقة ؟ »

واحست انها لن تصمد للصدمة لو ان لهذه الكلمة ظلا من الحقيقة وطغى عليها طوفان من الجزع جعلها تصرخ هاتفة باسمه ثم تنفجر ناشجة بالبكاء . وعندئذ كف عن العمل وقال :

ـ ماذا جرى يا مارجريت بحق السماء ؟

قبل ان يتسنى لها ان تجيب استطرد يقول :

ـ لا يحق لك ان تبكى . لانك فى الواقع اقبلت فى لحظة نجاحى . بعد ساعتين اثنتين سيكون كل شىء على اتم اهبة كى يراه والدك . انه سيعود الليلة . اليس كذلك ؟

فاجابته ببلاهة :

ـ بلى سيعود الليلة .. وامى قد اكتشفت امرنا يا فيليب

ـ يا الهى . اتعنين هذا حقا ؟ وهل قامت بسبب ذلك مشادة ؟

ـ كلا . كل ما هناك انها حذرتنى منك . حذرتنى من الثقة بك ، ولكنى اثق بك فعلا . يجب ان اثق بك . اليس كذلك ؟

ـ طبعا . طبعا . ولكن امك ... تعترض طبعا ؟

ـ نعم . فهى تكرهك . ولعلهـــا تكرهنى انا ايضا ... فلا اظنها متعلقة بأحد حقا فى الدنيا كلها اللهم الا بومى ... ولكنى لا ابالى ... لا ابالى ما يمكن ان يحدث ما دمنا ...

وقدمت شفتيها الى شفتيه وتعلقت بعنقه بحرارة ، واسلمت نفسها لاحضانه . فاشعلت جذوتها جذوته ، فاخذ يقبلهـا الى ان شهقت وقد افرخ روعها وقالت له بصوت مضعضع من الانفعال :

ـ فيليب . فيليب . انا لا اريد ان اضيع وقتك الذى يجب ان تصرفه فى اتمام عملك . اريدك ان تغدو رجلا عظيما ... اريدك ان تكون طموحا ... ولست ابالى كم من الزمن تقضيه بعيدا عنى فى صنع آلاتك ...

فحملق فى وجهها متعجبا من قولها ، ولكنها استطردت :

سنكون سعيدين جدا ٠٠ ستكون أنت سعيدا بآلاتك وانا سعيدة بأطفالى ٠ أريد حفنة كاملة من الاطفال ٠٠٠ أنا أعلم أننى لا ينبغى ان اقول شيئا كهذا . ولكن لا حيلة لى فى ذلك . لا أستطيع أن امنع نفسى من مصارحتك بما فى نفسى ٠٠٠ ولكنى لا ينبغى أن اضيع وقتك ٠٠٠ وعندما يعود أبى الى البيت الليلة يا فيليب ، هل تأذن لى ان اخبره بأمرنا ؟

ـ الليلة ؟

ـ نعم أود ان افاتحه الليلة . فامى لم تخبره بما تعرفه بعد . ولكنهـــا قد تخبره . وانا لا احب ان يصل النبأ من احد قبل أن نفاتحه نحن

ـ ولكنى يامارجريت افضل ان ننتظر حتى الغد . فالآلة كما ترين قد نجحت نجاحا عظيما ٠ وأنا واثق أنه بعد ان يراها سيكون أكثر استعدادا لسماع ما نريد ان نقوله له

ـ انى على كل حال افضل ان اخبره الليلة . ارجوك ان تدعنى اخبره الليلة

ـ ارجو الا تفعلى ذلك . فهو خطأ كبير !

ـ هل تعدنى بأن تدعنى اخبره غدا ؟

ـ سنخبره كلانا غدا ان أحببت ، بمجرد مشاهدته للآلة ؛ الآلة ... الآلة ... الآلة

ـ وهو كذلك اذن . والان ساتركك لتعمل فى هدوء

ومرت الساعتان دون أن يفرغ من عمله ٠ وفى موعد الغداء لم يظهر له اثر . وجلست تنتظره وقتا طويلا . ولما يئست من حضوره اسرعت تعدو نحو العريشة كى تأتى به فقرات على وجهه ان شـيئا ما ليس على ما يرام

وقال لها أن عقبة صغيرة قد برزت فى الطريق فجأة . واكد لها هوان شأنها . ترس صغير كسر فى آخر لحظة وسيقضى فترة بعـد الظهر بطولها فى صنع ترس آخر . وانه لا يستطيع ازاء ذلك ان يقتطع وقتا للغداء

ولما الحت عليه ان يتغدى قال انه لا يجد شهية للطعـام . فان شاءت فلها ان تبعث اليه مع مينشن بشطيرة وزجاجة جعة

وعندما حان وقت تناول الشاى كانت صفحة السماء قد ازدادت تلبدا بالغيوم . وبدات همهمة الرعد تتواكب قادمة من المشرق . فتمنت على الله أن يكون والدها قد بدا رحلة العودة من شلتنهام . لانها تعرف الحصان الذى يجر العربة الصغيره ، وتعلم انه يهيج وتثور اعصابه حينما يشعر باقتراب الزوابع وقد يجمح

وانقبض صدرها وعاودها الشعور بالكوارث . وخيل اليها كانها تتمشى بمفردها فى بطن واد طويل ممتد . ثم رات فجاة الجبال على الجانبين تتهاوى ببطء لتنقض فوقها

وتناولت الشاى فى حجرة الاستقبال . واخبرها مينشن ان امها اوت الى فراشها معلنة انها اسوا حالا مما كانت . وعلق مينشن على ذلك بقوله :

ـ انه الغلال الجديد مرة اخرى يا آنسة مارجريت . ملاحظتى لا تخيب

وحل وقت العشاء . ولم يعد والدها ، ولم يفرغ فيليب من عمله واحست انهالاتتحمل طاقة الذهاب الى العريشة مرةاخرى فارسلت مينشن الى فيليب تخبره بتاخير موعد العشاء الى حين عودة والدها وعاد اليها مينشن بالرد :

ـ مستر لوفل يقول انه سعيد جدا يا آنسة بهذه الفسحة من الوقت .. سعيد جدا بهذهالفسحةمن الوقت .. مع آلته ..

ـ اما زال المطر ينهمر يا مينشن ؟

ـ قطرات كبيرة تسقط بين الحين والحين يا آنسة ... ولكن الغيث سرعان ما ينهمر بعد قليل بشدة ... بل اتوقع ان تكون العاصفة بالغة العنف يا آنسة

وفى هذه اللحظة ومض برق شديد فاخترق نوره الستائر ، ثم اعقبته انفجارات هائلة من الرعد القاصف . فاجفلت . لكن خوفها لم يكن على نفسها بل على ابيها . وانصرف ذهنها ايضا على الفور الى فيليب فالحصان سريع الهياج فى هذا الجو ...

وفجاة ، وسط هدير موجة اخرى من الرعد رات الباب ينفرج عن وجه مينشن الاحمر المتهدل . وقرات فى عينيه ان شيئا ما قد حدث . ومن الغريب انها لم تفكر فى تلك اللحظة الا فى البيت فخطر

لها ان جانبا من ابنيته الخارجية نزلت به صاعقة من البرق
وسمعت مينشن يناديها عبر الحجرة بهمس اجش :
ـ مس مارجريت .. مس ما رجريت . لقد عاد السيد ... ولكنه مريض جدا... وقدحملناه الى قاعة البلياردو ... الاتذهبين اليه ؟

الفصل الخامس

الصدمة

كان والدها مستلقيا فوق اريكة وقد تصلبت ساقاه ، وتدلى ذراعاه الى الارض . وكان مينشن واحد البستانيين العاملين ق الحدائق المحيطة بالدار قد حملاه الى قاعة البلياردو ، لانها اقرب الحجرات الى الباب ...

والظاهر انه دخل بعربته الى فناء البيت ، ثم سلم الحصان والعربة الى احد عمال الاسطبلات ، ثم اسرع الخطو تحت وابل المطر الى مدخل المطبخ . وهناك راى مينشن واصدر اليه بضعة اوامر ق لهجة حادة . وكان ذلك امرا غير مألوف اطلاقا وقد دهش له مينشن دهشة عظيمة ...

واسرع فرينشام بعد ذلك مخترقا الدهليز المؤدى الى الجزء الرئيسى من بناء الدار . وهناك بالقرب من قاعة البلياردو سقط على الارض ، وقد اصابته نوبة من نوع ما ...

كل هذا اخبرها به مينشن وهو يلهث . وقد وقفت شاخصة العينين الى ذلك الوجه الاحمر المتقلص الذى لم يعد الا ظلا مشوها للوجه الذى طالما احبته ... ولم تستطع أن تصرخ . واستولى على ذهنها نوع من الصفاء البارد كصفاء الثلوج المتجمدة . فخطر فى ذهنها على الفور خاطر وصاحت :

ـ يجب ان يذهب احد لاحضار الدكتور فرجيسون فورا

وكان البستانى قد ذهب لاحضار الطبيب بالفعل . اخبرها مينشن بذلك ولكنه فى الوقت نفسه قال ايضا ان الطبيب ربما لم يتمكن من الحضور فورا بسبب العاصفة . فقالت مارجريت :

ـ من المستحسن ان نتركه راقدا هنا الى ان يحضر الطبيب

ـ نعم يامس مارجريت . و .. وهل .. هل اخبر السيدة ؟

فاجابته بهدوء تام :

ـ كلا . ليس الان . لان ابلاغها النبأ لن تجنى منه الا زيادة المصاعب فلننتظر الى ان يحضر الدكتور فرجيسون أولا . واعطنى قليلا من البراندى ... ثم اذهب الى العريشة الملحقة بحظيرة الالبان واطلب من مستر لوفل ان يأتى الى هنا فورا ؛

وخيل اليها ان ساعات طويلة قد انقضت قبل حضور فيليب . وكانت العاصفة قد وصلت الى اشدها . فلما دخل رأت وجهه ملطخا بالزيت والمطر . واشارت اليه اشارة خاطفة كى يلزم الصمت

وبدا عليه لاول وهلة انه غير ميال لتجاوز عتبة الباب . ولكنها استدعته وهمست قائلة :

ـ ابى مريض جدا فيما اظن يافيليب ، لقد اصيب بنوبة . وقد يعشنا فى طلب الطبيب ولكن العاصفة ربما عاقته عن الحضور فى الحال فهل تعرف شيئا فى امور التطبيب ؟

فهز راسه وحملق فى شبه فزع الى الجسد الملقى على الاريكة ولم يقل شيئا ، فقالت مارجريت :

ـ لا بأس . ابق معى على كل حال الى أن يحضر فرجيسون

واشارت له الى مقعد فى الناحية الاخرى من الاريكة . ورغم عدوها الغريب شعرت بخفقة اشفاق عليه ، لان المفاجاة هزت أعصابه فليست له قوتها فى مثل هذه المواقف !

ولما استطاع اخيرا ان يقوى على الكلام قال متلعثما :

ـ كيف حدث هذا ؟

فاخبرته ثم جلسا معا فى صمت تام

وانقضت ساعة كاملة الى ان حضر فرجيسون اخيرا وكان قد ركب امبالا طويلة تحت وابل المطر . فجعلت قطرات الماء تتساقط منه وهو واقف أمام الاريكة التى يرقد عليها المريض . وفرجيسون طبيب الاسرة العجوز منذ سنوات طويلة ، وهو الذى اشرف على ولادة مارجريت وبومى ولذا كان يهتم بهما اهتماما ابويا يكاد يصل الى رعاية كهنوتية . وقد بادر مينشن بقوله :

ـ جئنى حالا بكوب من الويسكى

ثم التفت الى مارجريت وقال لها :

ـ اين امك ؟

فاجابتها مارجريت بحدة واضحة :

ـ انها فى الطابق العلوى . فى حجرتها . وقد رأينا . أو على الاقل رايت انا انه لا جدوى من اخبارها فى هذه المرحلة على الاقل قبل حضورك

ـ آه . نعم . ، ولكن يجب ان تخبريها يا مارجريت . اخبريها فورا . اذهبى الان واخبريها ربثما القى نظرة على ابيك . وسيعاوننى مينشن وهذاالشاب (وأوما برأسه الى جهة لوفل فى حمله الى فراشه بعد ذلك

وصعدت مارجريت الى الحجرة المضاءة بالشموع والتى تبدو دائما رغم الالفة الطويلة مكتظة بالستائر والابسطة والطنافس المعلقة وكانت والدتها مستيقظة. فقالت لهابغير مقدمات لانها لاتملك القدرة على التلطف فى البلاغ :

ـ ابى مريض يا أمى . وفرجيسون يريد منك ان تريه فورا . ولذا يجب ان تنهضى الان . وساتولى مساعدتك فى ذلك

وكان هدوء أمها يضارع هدوءها . ولكنهما من نوعين مختلفين . فكان كل ما قالته الام :

ـ يستحسن أن يتولى مينشن دفع مقعدى كالعادة !

فاجابتها مارجريت بحدة واضحة :

ـ لايمكنك الآن الاستعانة بمينشن لانه مشغول بمعاونة فرجيسون وتلبية اوامره . واستطيع انا ان ادفع مقعدك

ـ وهل تعرفين كيف تحفظين توازن المقعد ذى العجلات عند النزول على السلم ؟

ـ لم اجرب من قبل . ولكنى ساحاول

وقبل ان تبدأ المحاولة فعلا حضر مينشن وعرض خدماته قائلا :

ـ لقد حملنا السيد الى الطابق العلوى حيث حجرته . ويود الدكتور ان يتحدث اليك فى الطابق الاسفل فى قاعة البلياردو يا مس مارجريت

فتركت امها مع مينشن ونزلت الى قاعة البلياردو ، فوجدت

فرجيسون يغلق حقيبته الطبية ، ولكنه عندما رآها تدخل صب لها ولنفسه قدحين كبيرين من الويسكي وأمرها قائلا :

ـ اشربي هذا جرعة واحدة ثم اشربي قدحا آخر بعده فانت الشخص الوحيد الذي يتعين عليه أن يتحمل كل هذا العبء فيما ارى

واستطرد بين جرعات كبيرة من الشراب يقول :

ـ لن اخفي عليك شيئا . فالحالة بكل صراحة خطيرة . فمنذ شهرين جاءني ابوك واخبرني انه يشعر بآلام غريبة في رأسه . ففحصته فحصا دقيقا ثم قلت له « يا فريشام . لابد لك ان تقلع عن التدخين وعن تعاطي الاشربة الكحولية ، وان تعيش حياة هادئة كل الهدوء في المستقبل »

ـ وماذا كان جوابه ؟

ـ اخذ يسب ويلعن في اول الامر ورفض الاذعان ، ولكني الححت عليه الى أن حملته على التعهد بالاقلاع نهائيا عن الطباق والخمر ، ولكنه لم ينجز وعده . وكنتاتوقع منه ذلك . لانه رحل الى لندن حيث قضى اسبوع اليوبيل الملكي . وهناك طبعا كان يدخن السيجار ويشرب الخمر كل ليلة ... ثم جاءت ضعثا على ابالة رحلته اليوم عائدا من شلتنهام في عربة مفتوحة وسط اسوا عاصفة عرفناها منذ سنوات . وهذه هي النتيجة !

وكانت مارجريت تصغي لما يقوله الطبيب العجوز وهي واقفة وظهرها الى مكان المدفأة الخالي من النيران في هذا الفصل من السنة، وهي ترشف الويسكي بطريقة آلية . واساريرها هادئة كل الهدوء. فلما فرغ الطبيب من كلامه سألته :

ـ اتعتقد انه سيتحسن ؟

فقال لها :

ـ ارجوا هذا !

ولم تفتها الملاحظة ، فقالت :

ـ ترجو هذا ولكنك لا تعتقد انه سيحدث ؟

فترك سؤالها بغير جواب . واستمر في اعداد حقيبته . قائلا

ـ لابد لي من العودة الى البيت كي أعد بعض العقاقير التي سيكون

بحاجة اليها . وساعود بعد ذلك مباشرة . فى نحو الساعة الحادية عشرة ، اذا كانت العاصفة لم تعرقل المسير . ثم انه ليس أمامنا ما نصنعه فى الوقت الحاضر حتى الساعة الحادية عشرة . فلتخلد والدتك الى شىء من الراحة ان شاءت . أما انت فيجب ان ترسلى فى استدعاء اخيك واختك حالا . وذلك على سبيل الاحتياط ... وبهذه المناسبة من هذا الشاب الذى كان هنا عند قدومى أول مرة ؟

ـ اسمه لوفل

ـ ضيف فيما اعتقد ؟

ـ نعم !

ولم يعقب على ذلك بشىء ....

وبعد انصرافه صعدت مارجريت الى الطابق العلوى ودخلت حجرة ابيها فوجدت امها جالسة فى مقعدها المتحرك بقرب فراشه . وكان لم يزل غائبا عن صوابه وليس هناك شىء يمكن ان يصنع سوى الانتظار

وتوقف المطر عن الهطول ، وهبت على حجرة النوم رياح ندية دفعت بالستائر فانكشفت عن صفحة سماء زرقاء داكنة ولكنها حافلة بالنجوم . واشارت امها فى ضيق الى الستائر التى يعبث بها الهواء فقد كانت تكره النوافذ المفتوحة وتسمى كل نسمة رخاء ريحا صرصرا

ونهضت مارجريت الى النافذة فاغلقتها وهى تفكر فى روعة السير بين الاشجار فى ليلة صافية ندية الهواء كهذه الليلة ، سماؤها حافلة بالنجوم والهلال تحيط به هالة ،ومن الارض التى اثار كرامنها الغيث، يرتفع عبير الاعشاب مختلطا بالازهار التى تتناوح بها اغصان الشجر

ولم تكن الصورة خالية من فيليب . فلاشك انه سيجد فى تلك النزهة الليلة راحة من عناء التوتر العصبى الذى اصابه على اثر الحادث .. فلماذا لاتحمل البرقيات وتصحبه الى القرية ؟ ولابد من ايقاظ الموظفين كى يرسلوا البرقيات . وهؤلاء الموظفون سيتولون اذاعة الخبر على جميع الناس فى المنطقة بمجرد طلوع النهار . وسيهز الناس رءوسهم ويقول القائل منهم :

ـ بالفرينشام المسكين ! .. أهكذا فجأة ؟ فى الاسبوع الماضى فقط

شاهدته يمر وهو يقود العربة بنفسه وتبدو عليه الصحة الكاملة !!

ونظرت الى أمها . فوجدتها تنظر اليها . فسألتها :

ـ اتشعرين بتعب يا امى ؟

ـ اشتدت آلامى ... واظن هذا من اثر الصدمة . ماذا قال فرجيسون ؟

ـ لم يقل سوى انه لا حيلة لنا سوى الانتظار . وانه سيعود فى الساعة الحادية عشرة . وقال ايضا انه ينصحك بالايواء الى فراشك ان شئت ذلك

ـ اظن ان هذا يستحسن ... ولكنى سوف لا أخلع ثيابى ... قولى لمينشن أن يأتى ليدفع مقعدى

وذهبت تبحث عنه فوجدته محتقن الوجه ، لاهث الانفاس من تاثير المجهود والمفاجاة . وجاء فدفع المقعد وانصرف بالسيدةالمريضة كما تعود ان يفعل منذ سنوات

وقالت مارجريت لامها وهى منصرفة :

ـ سأدعوك يا أماه اذا دعت الحالة لذلك !

وخلت لنفسها برهة . وكانت الساعة قد تجاوزت العاشرة بثلاثين دقيقة . ولن يلبث فيليب وفرجيسون ان يعودا . وكان فيليب هو الذى عاد أولا فتركت له فسحة من الوقت لتناول العشاء ثم طلبت من مينشن أن يستدعيه . لانها قدرت انه سيشعر بالوحشة وهو بمفرده فى الطابق السفلى . ثم لعل الخروج فى الهواء الطلق برهة سيفيده ...

وطرق الباب برفق ثم فتحه ، فلاحظت مرة اخرى توتر اعصابه بصورة غريبة . ووقف عند عتبة الباب الى ان ذهبت اليه وقالت له :

ـ يا فيليب . افضل ان تبقى معى الى ان يعود فرجيسون . ولن يطول الانتظار ... فهل لديك مانع ؟

وجلسا على الجانبين المتقابلين للفراش واخذا يتحدثان همسا .. ونظرت هى الى أبيها وهو راقد فأدركت انها لم تفطن من قبل الى مبلغ ضخامته . وجعلها ذلك تفكر فى امها القصيرة النحيلة . فلاشك ان الناس كانوا يضحكون دائما من منظر الاثنين معا . ولكن لابد ان

هذا كان منذ زمن بعيد . لانهما لم يخرجا الى المجتمعات معا منذ سنوات كثيرة ... ان راسه وهو على الوسادة يبدو اضخم بكثير من المعتاد . وعروق جبهته وعارضيه زرقاء شديدة الزرقة كانها توشك أن تنفجر

وخيل اليها ان الهسواء فى الحجرة غير كاف . وكان ابوها على عكس امها يحب الهواء الطلق دائما . فقالت همسا :

ـ افتح النافذة يا فيليب . فان والدتى جعلتنا نغلقها عندما كانت هنا ، ولكنى أعتقد اننا يجب أن نبقيها مفتوحة

فنهض وفتح النافذة ثم جلس . ودقت الساعة الضخمة دقة الربع بعد الحادية عشرة . فلا شـك أن فرجيسون سوف يعود بسرعة ... ان السكون سائد تماما . وسوف يصل الى سمعهـا حتما صوت الحصان وهو قادم على الطريق ... يبدو لها أنه قد مرت ساعات وهى فى الانتظار . ومرت سنوات منذ الليلة الماضية ، حينما سارت هى وفيليب معا على شاطىء النهر ، وكانت الحيـاة تبتسم لهما . وكل شىء يبدو فى عينيها رائعا . وهمست فجاة :

ـ فيليب !

فرفع اليها عينين تنطقان بالفزع . وقالت :

ـ فيليب ... هل حقا تحبنى ؟

ـ احبك ؟ نعم بالطبع ... طبعا احبك !

فهزت راسها وابتسمت وتركت الصمت يخيم عليهما مرة أخرى اذا لم يحضر فرجيسون بعد قليل فلابد أن ترسل أحد البستانين للبحث عنه على الطريق ...

ولكن فجاة ، وبينما هى ترتب فى ذهنها ما تصنعه فى هذا الصدد ، شعرت بحركة خفيفة تصدر عن الفراش . وأدركت أن عينى أبيها رايلهما ذلك التحديق الزجاجى المتجـه الى السقف ، فهمـا الآن تصوبان نظرة ثاقبة الى فيليب . وهمست تقول له :

ـ انظر .. انظر ! انه يفيق !

ثم استطردت تقول بكل لطف :

ـ كل شىء على مايرام يا أبى ... نحن هنا ... مارجريت و... مستر لوفل ...

واكفهر وجه فيليب ، وجلس معقود اللسان ساكنا كالتمثال . وتعجبت لماذا لم يقل شيئا ملطفا لخاطر الاب . وعللت ذلك بانه لم يزل مهتز الاعصاب من وقع الحادث

وبعد ذلك حدث صراع لم يكن امامها هي وفيليب الا ان يشاهداه من غير أن تكون لهما حيلة فيه . لقد كان أبوها يكافح فى سبيل النطق ، واصابعه تتشبث بمفرش السرير فى جنون ، وكأنه يصارع عدوا خفيا أخذ بمجامع لسانه وحنجرته . ولم تسفر تلك المعركة المستيئسة الا عن كلمة واحدة مفهومة المقاطع . وهذه الكلمة هى « لوفل » !

وهمست مارجريت وهى تنحنى فوقه :

ــ ها هو ذا هنا يا أبى !

ولكن الصراع كان قد انتهى ، واستكان الرجل للرقاد وقد تلاحقت انفاسه التى يجد صعوبة شديدة فى استجماعها ، فقالت :

ــ يا فيليب . انى أشعر انه من الواجب استدعاء امى ... نعم انه لا يبدو أسوأ حالا مما كان ... ولكن مع هذا اذهب وناد مينشن

واسرع الى الباب بيد انها استوقفته قائلة :

ــ كلا . كلا ... لا تذهب الان

ثم انحنت مرة اخرى فوق الفراش . وقفزت بعدئذ واقفة حتى اوشكت ان تسقط المقعد على الارض ، وصاحت بصوت أجش :

ــ اعتقد ان شيئا قد حدث ... لا اظنه يتنفس ... كان يبدو عليه انه يرتجف ... فيليب ... أتستطيع ان تعرف ... ؟

ووقف الاثنان امام الفراش وتطلعا الى الرجل الراقد هناك . وكان يبدو هادئا . وخيل الى مارجريت انه عوفى مما كان يشعر به. وان السامات التى مرت بها اخيرا لم تكن سوى حلم مزعج . وانه ينام نوما عاديا

ولكن فيليب هز راسه وقال :

ــ اعتقد انه ... هل ابقى هنا الى ان تستدعى انت احدا ؟

فقالت بحزم

ــ كلا . سابقى أنا واذهب انت وائتنى بمينشن

وانهار تجلدها عندما صارت وحدها فى الحجرة. ولكنها استردت هدوءها كاملا عندما عاد فيليب ومعه مينشن

الفصل السادس

الحقيقة

رحل فيليب الى برمنجهام فى صباح اليوم التالى . تولى توصيله فى العربة الصغيرة أحد السياس الى محطة السكة الحديد . وأثناء الطريق التقت العربة بعربة كبيرة مفتوحة كانت تقل ليلى قادمة الى الدار . فحدق كل منهما فى الآخر تحديقا شديدا . . .

لقد سافر لمدة اسبوع الى ان تنتهى مراسم الجنازة . وقد رأت مارجريت انه على صواب فى هذا القرار . فذلك انسب تصرف فى هذا الظرف

واقيمت الجنازة فى كنيسة كولد مارستون التى تكاد تقع فى ظل تل ستاو . ولم يحضر الجنازة أحد سوى أفراد الاسرة وخدمها . ولعل مراسم الجنازة كانت لا تخلو فى جملتها من سخرية خفيفة . لان كيم فرينشام كان فى شبابه من أشد المتحمسين لداروين وهاكسلى مالى الاحياء المشهورين بعداء الكنيسة لنظرياتهما فى النشوء والتطور وكان « غنوطسيا » اى انه يؤمن بوجود الله عموما من غير طريق كتب الوحى والانبياء . وبطبيعة الحال كان شديد الاغفال للأشكال والمراسم الكهنوتية والكنسية

وحضر من لندن لشهود الجنازة المحامى باسلو ، الذى رأى من الحكمة فتح الوصية بعد الانتهاء من طقوس الدفن مباشرة

ونصت الوصية على هبة ضخمة للارملة التى آلت اليها ايضا الدار والاراضى المحيطة بها . ونصت كذلك على هبات صغيرة لجهات البر وللخدم وما الى ذلك . أما الباقى كله فمقسم بين الاولاد الثلاثة . ولما كان بوميروى بالغا سن الرشد فله أن يتسلم نصيبه فى التركة فورا . أما مارجريت فعليها ان تنتظر مدة وجيزة الى ان

تبلغ رشدها

ولا شك ان فرينشام حين كتب هذه الوصية كان يعتقد ان اموالها المنقولة من أسهم وسندات وما الى ذلك طائلة القيمة . ولكنه في السنوات الاخيرة منى بخسائر كبيرة نتيجة مغامرات جريئة في عالم المال . فترك وراءه ديونا كبيرة تستغرق تصفيتها وقتا طويلا فكأن الارملة وحدها هي التي ورثت الجانب الاكبر من الثروة

وانتحى المحامي بمارجريت جانبا وافهمها ان الموقف يحتاج منها لشجاعة كبيرة . وربما كان من المستحسن بيع هاى ستاو لمجابهة الديون

ـ هـذا على الاقل اقتراح يجب مناقشته مع مستر بوميروى عندما يعود الى الوطن قريبا

واصبح الجو ـ بعد العاصفة ـ في غاية الاعتدال فبدت الحدائق المحيطة بالدار في اوج فتنتها . وتمنت مارجريت من اعماق قلبها الا يحتاج الامر الى بيع هاى ستاو . ولكنها في الوقت نفسه كانت تشعر بانه لو اقتضى الامر بيع هاى‌ستاو فسيكون افتقادها وحنينها الى الحدائق المترامية المحيطة بالدار اكثر من حنينها وافتقادها للبناء نفسه . وكانت تعلم ان هذا هو احساس بومى ايضا . وتساءلت فيما بينها وبين نفسها كيف عسى بومى أن يبدو لعينيها بعد غيبته في امريكا وقد طالت ثلاث سنوات . كم سيسعدها ان يكون بومى معها في البيت كسابق العهد . ولاسيما اذا شعر بالمودة نحو فيليب ! ولكنه طبعا سيحب فيليب . لانه من العسير على أى انسان الا يحب فيليب

ومع ذلك كانت كراهة امها له لم تتزعزع بمرور الوقت . ولم يعد اسمه يذكر فيما بينهما كثيرا . ولكن في أصيل الليلة التي كانت تتوقع وصوله فيها من برمنجهام قالت لها امها فجاة :

ـ قال لي دارنته ان لوفل سيعود الليلة الى هنا

ـ هذا صحيح

ـ اظنك مسرورة لهذا ؟

ـ نعم

ـ وما سبب عودته ؟
ـ لقد ترك هنا آلته وأدواته ورسومه
ـ آه ! الم يكن فى الامكان ارسال هذا كله اليه ؟
ـ بلى . ولكن هناك موضوعات يجب ان نتحدث فيها نحن الاثنان
ـ انه طبعا يعرف اننا لا نستطيع الآن ان نستمر فى تنفيذ اى اتفاق تم بينه وبين والدك ؟
ـ اعتقد انه يدرك هذا
ـ اننى مازلت عاجزة عن تصور سبب وجيه لحضوره اطلاقا
ـ قلت لك ان بيننا امورا يجب التحدث فيها
ـ امور تتعلق بآلته الجديدة . هه ؟
ـ نعم . . . وامور اخرى ايضا !
ـ وعلى الاخص الامور الاخرى . اليس كذلك ؟
فقالت مارجريت بصراحتها المعهودة :
ـ بلى !
ـ وهل مازلت بعد كل هـذا الذى حدث مصممة على الزواج منه ؟
ـ لست ارى اى وجه كى يحول هذا الذى حدث بينى وبين هذا الزواج !

ورات عندئذ امها تبتسم نصف ابتسامة وتتحسس صفحة وجهها بمنديل مبلل بماء الكولونيا . وكانت جميع نوافذ الحجرة مغلقة اغلاقا محكما . والهواء الساكن الراكد مثقل بروائح العطور المختلفة ، التى تختلط فيها رائحة الكافور برائحة الياسمين وغيره من الازهار العاطرة . وكانت مارجريت تكره هذا الجو الثقيل على الصدر . وكذلك كيم كان يكرهه جدا

وتمنت مارجريت ان تدخل ليلى عليهما لأن ذلك من شانه ان يضع حدا للمناقشة . فهى لا تشعر بالرغبة فى مناقشة امر فيليب مع اى انسان . ولاسيما مع امها . ولكن امهـا استانفت فجـاة اسئلتها من زاوية اخرى :
ـ هل اخبرك الدكتور فرجيسون يامارجريت بسبب فاة ابيك ؟
ـ قال لى انه شلل فى المخ

ـ وما تظنين انه كان السبب فى ذلك الشلل ؟

ـ قال الدكتور فرجيسون أن السبب وبما كان قلقه الشديد ومحاولته اليائسة للوصول الى البيت بسرعة اثناء العاصفة

ـ انه القلق او الانزعاج على كل حال . هل اقر لك بهذا ؟

ـ نعم

ـ اذن أستطيع ان اخبرك عن انزعاج اعظم بكثير مما تتصورين . وقد حدث له هذا الانزعاج قبل وصوله الى البيت مباشرة

ومالت الام الى الامام فى مقعدها ولبثت صامتة لحظة ولكن مارجريت لم تتكلم . وعندئذ قالت الام :

ـ لقد رأى صديقك لوفل

لوفل ؟ ... وكادت عيناها العسليتان تقفزان من محجريهما وهى تسأل :

ـ رآه ؟ ماذا ... ماذا تعنين بذلك ؟

ـ اعنى بذلك انهما تبادلا الحديث . وكنت جالسة امام نافذتى فاستطعت ان اسمع حديثهما رغم ضجة المطر والرعد . فلى اذنان حادتان كما تعلمين ، ولكن كلامهما كان بصوت عال جـــدا ... فهل لم يخبرك لوفل بذلك الحديث ولم يذكر لك شيئا عنه ؟

وسكتت مارجريت فلم تجب . فقالت الام :

ـ لقد قدرت انه لن يخبرك بأمر هذا الحديث . لانى لم اتوقع منه أن يكون صريحا معك ، كصراحتك معه !

ـ دعى هذه المسألة الآن يا أمى . ولكن خبرينى ماذا حدث بينهما ؟

ـ ساخبرك بكل ما اعرفه وهو ليس بالشىء الكثير : كان والدك عائدا بسرعة الى البيت عن طريق باب المطبخ ، وكان لوفل معـه ، فلابد انهما تقابلا قبل هذه اللحظة . ولم اسمع بوضوح ماذا كانا يقولان . ولكن كان من الجلى انهما يتشاحنان . وكان من الجلى ايضا ان موضوع المشاحنة هو أنت

ـ انا ؟

ـ هل هذا يدهشك حقا ؟

ـ خبرينى .. خبرينى أى نوع من التشاحن كان هذا ؟ هل كانا يتجادلان مجرد مجادلة ؟

ـ لا استطيع ان اجزم بهذا . وعلى كل حال ينبغي ان اكون منصفة لصديقك . اليس كذلك ؟ ولكن اذا كنت تريدين ان تعرفي القصة كلها فلماذا لا تسألين لوفل نفسه عما حدث فعلا ؟

ـ سأسأله . سأسأله . وانا اعلم انه سيفسر لي كل شيء

ـ بلا شك . ولكن بعد ذلك . عندما يكون قد فسر لك كل شيء فلك ايضا ان تسألي نفسك ان كنت تصدقين هذا التفسير

وقبضت على قبعتها ومعطفها وخرجت تجري من البيت الى الحدائق لانها احست باحتياجها الشديد للهرب الى الهواء الطلق. وناداتها ليلى من احدى النوافذ وسألتها اين هي ذاهبة . فاجابتها مارجريت :

ـ لا ادري !

فاجابتها ليلى بشيطنة :

ـ اظنك ذاهبة لمقابلة صاحبك مستر لوفل على المحطة ؟

فراقت لها هذه الفكرة وقررت ان تذهب لمقابلته على المحطة . ثم تسأله عن ذلك الموضوع بغير لف ولا دوران

وانتظرته على رصيف المحطة . وكان من المؤلم لها جدا ان يذكرها منظره بأبيها . فهو يشبهه جدا في البنية والسحنة . وفيه تفتحه للحياة . ولم يحمل معه الا حقيبة صغيرة وعلما اقترحت عليه العودة الى البيت سيرا على الاقدام بطريق مختصرة تخترق الحقول وافق على الفور

وتحدث في بداية الامر في موضوعات شتى . موضوعات عامة مثل برمنجهام وحالة الجو وآخر الانباء الواردة من جنوب افريقيا . وكأنها كانت تختبره كغريب قبل ان ترفع الحجب بينهما . واحست انه يتهيبها قليلا . اما هي فكانت اكثر من متهيبة مما ستقدم عليه. وكادت نفسها تراودها الا تفاتحه . وان تترك الامور كما هي يكتنفها الغموض . ولكن ما ان اختفت عن انظارهما اضواء المدينة واوغلا بين الحقول حتى اسرع يضمها اليه ويقبلها . فكان ذلك هو الحافز القوي لها على المصارحة . فقالت له وهي تدفعه عنها :

ـ يافيليب . انى اريد ان القي عليك بضعة اسئلة . فهل تجيبني عنها ؟

فقال لها على الفور :

ـ طبعا . سلى اى سؤال شئت ولكن قبليني اولا !

فاحست ان مرحه مصطنع وقالت له :

ـ كلا كلا ... اريد يافيليب أن تخبرني ماذا حدث بينك وبين ابى ليلة وفاته ؟

وشعرت به فى الظلام وقد اخذ بالسؤال وابتعد عنها . فعلمت بغريزتها ان امها صدقتها القول . ولكنها مع ذلك لبثت تنتظر رده على سؤالها بهدوء . واخيرا صاح متعجبا :

ـ يا الهى ! ماذا تعنين بهذا السؤال ؟

ـ لا اعنى شيئا . كل ما هنـاك انى اطلب منك ان تذكـر لى الحقيقة كاملة . لقد التقيت انت وابى ليلة وفاته . اليس كذلك ؟ وحدث بينكما جدل او نقاش بشأنى . واريد منك ان تخبرنى عن هذا النقاش

فتبدلت حالته فجاة . وفارقه المرح وظهر عليه اليأس . وقبض على ذراعها وصاح قائلا :

ـ مارجريت ! لم يكن الذنب ذنبى يا مارجريت ... اقسم لك على ذلك ... لم اكن اعلم انه مليل بهذه الصورة !

فنظرت فى الظلام الى ملامح وجهه المعتمة وقالت :

ـ انا لا اتهمك بشىء ...

والحقيقة ان صوته كانت فيه نغمة لم تستطع احتمالها . ولهذا حرصت على ان تكون هادئة كل الهدوء :

ـ .. كل ما اريده ان تخبرنى فى بساطة وهدوء بكل ماحدث !

ـ اقسم لك امام الله يا مارجريت انه لم تكن لدى فكرة ...

ـ اعلم هذا . ولكن خبرنى بما حدث

ـ انى ... اشعر بخزى شديد ... جدا

ـ تكلم !

وتكلم بلهجة عرجاء متعثرة فقال لها ان اباها دخل عليه العريشة وسط العاصفة وسأله بلا مقدمات : « ماذا بحق الشيطان تقصـد من تمسحك بابنتى ؟ » وكان واضحا ان هناك من حذره بشأننا . فقلت له حقيقة علاقتنا بحذافيرها . فثار ثائره وسبنى ونعتنى

فيما نعتني به باني انتهازي ... فاخرجني ذلك عن طوري . وكانت اعصابي مرهقة جدا بعد ان ظللت ست ساعات احاول عبثا اصلاح كسر في الآلة . فضلا عن جو العاصفة المشحون بالكهرباء . آه لو كنت اعلم انه مريض !

ـ اكمن . ارجوك ان تكمل

وظل يصرخ باعلى صوته انني وغد . واني اسأت استغلال كرم ضيافته وما الى ذلك . وعندئذ ... عندئذ قلت له اذهب الى الشيطان . اعترف بهذا . والحقيقة انني لم اكن اعلم ...

ـ نعم نعم . اعرف ذلك . ولكن اذكر لي بقية ما حدث

ـ بعد ذلك ... ضربني .. باقصى قوته ... و ... فضربته !

ـ انت ضربته ؟

ـ وكيف كان يمكنني ان اعلم يا مارجريت ؟ انه كان يبدو ضخما قويا . حتى انني كنت اعتقد في اعماق نفسي انه اذا حدث بيننا شجار سيغلبني بقوته الفائقة ... ومع ذلك بمجرد ان لكمته . ولم تكن اللكمة قوية جدا ادركت ان به شيئا . فاخذ يترنح خارجا تحت المطر ، واتجه الى البيت . فتبعته لاني قدرت انه ربما اغمي عليه ، واحتاج لمساعدة . وظل طول الطريق الى المطبخ يصيح ويسبني . وربما اكون اجبته بمثل صياحه وسبابه ... لا ادري ولا اذكر . لان حالتي كانت في منتهى الفظاعة . ولما دخل البيت جريت عائدا الى العريشة . هذه هي الحقيقة . الحقيقة الكاملة بحذافيرها . ولا يمكنك ان تتصوري شعوري بعد ذلك عندما بعثت في طلبي ، ووجدته راقدا هناك في قاعة البلياردو

واحسست انه يوشك ان ينهار . فسكتت ولم تتكلم فاستطرد بحرارة :

ـ يا مارجريت . اتكرهينني لهذا السبب ؟ وكيف كنت استطيع ان اعلم انه مريض ؟ ان والدتك تكرهني كما اعلم . وفرجيسون يرتاب في امري . ولكن لابد انك انت تثقين بي . يجب . يجب !

فقالت وهي تشيح بوجهها عنه :

ـ فلنحاول ان نعالج الامر بهدوء يا فيليب . وانت طبعا لم تكن تدري ان ، الدي مريض . هذا شيء مفروغ منه . وفرجيسون

اخبرني فعلا ان وفاته كانت متوقعة بصورة فجائية في اي وقت ، وان اي سبب كان كافيا لذلك

ـ اي سبب ... ولكنك تعتقدين انني كنت السبب ؟

ـ على هذا الاساس اعتقد انك كنت السبب . ألست تدري ذلك؟

سألته السؤال بهدوء تام ، ولكن الموقف كان شديد الوطأة عليه ، فقال وهو يلهث :

ـ يا الهي ! هل يمكن ان تصفحي عني ؟

واجابته بهدوئها الراسخ :

ـ لقد صفحت عنك بالفعل يافيليب . غفرت لك هـذا الذي صنعته به

ـ اذن هناك شيء آخر ؟

ـ نعم . انا لا ادري لماذا لم تخبرني بكل هذا بمجرد حدوثه !

وساد الصمت فترة . ثم قال :

ـ كان ينبغي ان اخبرك . اعلم هذا . ولكني خشيت ان اسبب لك الما

ـ ولكنه الم اقل بكثير من الم لانك لم تصارحني

ـ ظننت انك لن تغفري لي لو علمت

ـ كان ينبغي ان تجازف !

ـ هذا صحيح

ـ لقد اخطأت يا فيليب اذ لم تخبرني ...

ولم يعد صوتها هادئا . بل كان يختلج بالانفعال :

ـ ... كان من الخطأ ان تجلس الى جوار فراشه في سـاعته الاخيرة ، بعد هذا الذي حـدث بينكما . وانت تذكر كيف نطق باسمك وهو يلفظ نفسه الاخير ؟ كان لا يزال غاضبا عليك عندئذ .. وكان ينبغي الا تكون هناك

ـ ظننتك تريدينني ان ابقى معك

ـ وهل كنت تظنني اريدك أن تبقى معه لو أنني كنت اعلم الحقيقة؟

ـ كان ذلك جبنا مني . اعترف بهـذا يامارجريت . لـم تواتني الشجاعة على اخبارك بعد الذي حدث !

ـ أو لم تواتك الثقة بي ؟

ـ كلا كلا ليس هذا هو السبب

فسكتت واستمرت فى السير غير مكترثة بانكاره . فقال بعد قليل :

ـ وكيف اكتشفت المسألة يامارجريت ؟

ـ سمعت امى جانبامن المشاجرة . لانها كانت عند نافذة الحجرة الغربية

ـ استطيع أن اتخيل ما قالته لك عنى

فشعرت على الفور ولاول مرة فى حياتها فيما تذكر بشىء يجذبها الى الدفاع عن امها فقالت :

ـ لقد كانت منصفة جدا فى الواقع . ثم انها لو لم تسمع جانبا مما حدث عفوا لما عرفت أنا الحقيقة اطلاقا . اليس كذلك ؟

فاجابها بشراسة :

ـ أنك مازلت توبخيننى يا مارجريت ؛ انك تكرهيننى بسبب ما فرط منى ! انى اسمع هذا فى نبرة صوتك وفى كلماتك . ولا أظن انك سامحتنى ولا تستطيعين ان تسامحينى

وازعجها قوله . لانه كل من بقى لها فى الحياة وحبها له هو السند الوحيد الباقى لها . فتعلقت به فجأة وضمته بشدة اليها ، وراحت تقبله بحرارة . كانت تريده . وتحن اليه . ولكن جوع جسدها طغى عليه جوع آخر هو جوع روحها . فقالت وهى تلهث مرتجفة بين ذراعيه :

ـ تزوجنى يوبك . تزوجنى بسرعة يا فيليب . وبعد ذلك نستطيع ان نلقى بهذا كله وراء ظهورنا . وساصفح وانسى هذا كله عندما يضمنا بيت واحد ، وتصبح انت زوجى العزيز ! تزوجنى بسرعة يا فيليب . فانا لا اطيق ان اعيش فى هذا البيت العتيق الان . واريدك اكثر مما اردتك فى اى يوم مضى يافيليب ...

فعانقها بحنان وهيام . وقد الهبت عواطفه حلاوة مفاتنها الجسدية ، ورائحة شعرها العطرة ، وبضاضة شفتيها الحارتين :

ـ نعم نعم ، سريعا ، بأسرع ما نستطيع . ولكن لا مال عندى كما تعلمين

ـ انا لا ابالى بهذا . ساعمل . سيعمل كلانا بكل جد . وساعيش معك فى احقر كوخ فى برمنجهام واحس اننى فى الجنة !

ـ لن يطول بك هذا الاحساس . وسرعان ماتكتشفين أن الافلاس ابعد ما يكون عن حياة النعيم التى تتخيلينها

ـ اذن دعنى اكتشف ذلك بنفسى . ولابد انى ساكتشفه على كل حال لانه لن يكون لى مال حتى ولو بقيت فى الدار ولم اتزوج

فبدا عليه الاهتمام الشديد وهو يقول متعجبا :

ـ اوه !

فسردت على مسامعه دقائق الموقف بعد فتح الوصية ثم قالت :

ـ فنحن اذن على قدم المساواة الآن . وينبغى ان نواجه الواقع . وانا واثقة انك ستغدو شهيرا فى يوم من الايام . واثقة بهذا ثقتك انت به . واريد ان اعينك واعمل لك . فخلقى . خلنى معك حيث شئت . وفورا ...

ـ انت رائعة !

وكان يعنى بهذا دفء شفتيها وضوء القمر الذى ينعكس على الدموع المترقرقة فى عينيها وهما يستانفان المسير

وكانت امها جالسة تقرأ فى حجرتها عندما صعدت اليها لتحييها تحية المساء . وكان كل ما قالته لها امها :

ـ اذن فانت قد اتيت به ثانية يا مارجريت ؟

ـ نعم

ـ هل سيقيم طويلا ؟

ـ بضعة أيام . وربما يحزم امتعته

ـ وهل اخبرك بالحقيقة ؟

ـ نعم

ـ وهل طابق كلامه كلامى ؟

ـ نعم

ـ اوه ؟ هل اعترف بكل شىء اذن ؟ وماذا فعلت انت ؟

ـ صفحت عنه !

الفصل السابع

الكشاف

لم تر مارجريت فيليب كثيرا جدا كما هو منتظر فى الايام القليلة التالية • لانه كان يقضى الوقت فى العريشة مشغولا بحزم آلتـــه وأدواته • وهى ايضا كان لديها عمل كثير جدا يشغل معظم وقتها • وكان لغز شخصية والدها الحقيقية لم يزل مستوليا عليها • فاغراها ذلك بالاقدام على فحص طويل دقيق بين أكداس كثيرة من الخطابات والاوراق التى خلفها وراءه

كانت مارجريت تخصص فترات الصباح لهذا البحث • ولم تخبر والدتها بشىء عنه لان الفكرة فى ذلك كانت فكرتها وحدهـــا • ولم يسفر البحث فى أول صباح عن شىء سوى الكشف عن وساتل أبيها المضطربة المتسمة بالفوضى فى ادارة أعماله . وفى الصباح الثانى وقعت يدها على آثار عهد أقدم من ذلك فتكشفت لهـــا دلائل اسرافه واندفاعاته المتنوعة ...

أما اليوم الثالث فاكتشفت فيه خطابات كثيرة من نســـاء ••• وكان عدد هذه الخطابات عشرات بل مئات مكدسة على غير نظام فى قاع درج من أدراج مكتب قديم له • ولم تقدم على قراءة هذه الخطابات فى مبدأ الامر لان مطالعة هذه الخطابات جعلتها تجفل من التطفل على شئون تبدو عليها الصبغة الشخصية والخصوصية بصورة واضحة ثم قرات خطابا أو خطابين منها ولم تستطع ان تمضى فى القراءة أكثر من هذا •• لان السطور بدت لها غير معقولة وتفوق مضموناتها أشد تخيلاتها اسرافا • ومع هذا لم يكن هناك مجال للخطأ فى التاويل فتواريخ الخطابات وأختام البريد على مظروفاتها كانت دليلا دامغـا على صدقها وواقعيتها

ولم تدرك المغزى الذى تنطوى عليه تلك الخطابات فى البداية . فلما ادركته تألمت لذلك ألما فظيعا . ألما شديدا كألمها عندما اكتشفت سر فيليب . بيد أن ألمها فى هذه المرة أعمق وأكثر حدة حتى لقد شعرت بغثيان ، فخرجت الى الحديقة وهامت على وجهها بين خمائلها نصف ساعة وهى تحاول أن ترتب ذهنها ، وتستوعب أطراف المسألة حتى لقد كادت فى النهاية تشك فى وجودها نفسه لفرط نفورها من اليقين بواقع هذه الامور

وخرجت بالنتيجة التالية : أنه لم يكن هناك وقت تعيه ذاكرتها منذ ولادتها أو قبل ذلك الى زمن قريب جدا ، لم يكن فيه لوالدها عشيقة . وظل الحال على هذه الوتيرة تلك السنوات . بل لعل الحال كان كذلك منذ ولادة أخيها الاكبر بومى . فكانت هناك دائما امرأة فى مكان ما على صلة بأبيها

وكثير من هذه الخطابات خطابات حب وغزل . وكثير منها أيضا لم يكن سوى مذكرات قصيرة لتحديد مواعيد الالتقاء أو أمكنته وما الى ذلك . ولكن جميع الخطابات تقريبا كانت تحوى من التفاصيل مالا يدع مجالا للشك فى نوع هذه العلاقات الغرامية ..

واحدى هؤلاء النساء كانت تعيش فى بروكسل وتكتب رسائلها بلغة فرنسية عامية مبتذلة . وامرأة غيرها كانت لندنية لم تجد مارجريت بدا من الاعتراف بما فى رسائلها من دلائل على ذكائها وقوة شخصيتها . وكان هناك شىء مشترك بين جميع الرسائل التى كتبتها جميع النساء ، وهذا الشىء هو هيامهن بأبيها هياما يبدو قويا صادقا لاغش فيه

وانقضى الغداء وهى فى حالة شبيهة بالحلم . وكان فيليب وليلى يتحدثان معظم الوقت على المائدة . وبدا واضحا أن ليلى مشغولة به وتحاول محاولة اليائس أن تتظاهر بالاهتمام بأشد مشكلات الهندسة الميكانيكية تعقيدا وغموضا .. وبعد انتهاء الغداء عادت مارجريت الى المكتب . فقد كان عليها ان تصل الى قرار فى هذه الخطابات ، وماذا تصنع بها

هل تجمع شتات هذه الخطابات فى عناية وتخفيها فى مكان ما الى أن تعمل الصدفة عملها فى يوم من الايام فتعثر بها يد شخص آخر

بعد سنوات طويلة ؟

كان أكثر ميلها الى القضاء على تلك الخطابات قضاء تاما • فهى قد استخلصت منها الحقيقة عن أبيها ، وليس من المحتمل ان تنساها ما عاشت • نعم يجب أن تعدمها اعداما !

واخذت تجمع الخطابات بالعشرات فى كل مرة وتلقى بهـــا الى نيران المدفأة • واستغرق احراقها وقتا طويلا • وكانت الحرارة فى ذلك اليوم الحار من شهر يونية خانقة . وعندئذ ، وهى مستغرقة فى عملية الاحراق انفتح باب المكتب ودخلت أمها يدفع مقعدهـــا المتحرك مينشن !

وكانت لحظة عصيبة ..

ووقفت مارجريت وظهرها الى المكتب المفتوح تحملق ببـلاهة عبر الحجرة نحو الباب • وابتسمت مسز فرينشام ابتسامة صـــغيرة غامضة وأومأت برأسها تصرف مينشن • فلما انصرف قالت :

ـ اذن فأنت تقومين باحراقها يا مارجريت ؟

وبعد برهة صمت قالت مارجريت :

ـ انى أتخلص من بعض خطابات أبى القديمة • فهناك خـطابات كثيرة جدا •• ولا اظن انها تستحق مئونة الاحتفاظ بها

ـ أوه • كلا • كلا بالتأكيد • واعتقد أنك تصرفت بحكمة • كل الحكمة . ولكنك نسيت مبلغ ما أتمتع به من دقة الملاحظة • فليس لدى ما أفعله طول النهار سوى الجلوس فى مقعد والاخلاد الى التفكير والمطالعة والمراقبة • وقد عرفت طول الوقت ماذا تصنعين • لقـــد كنت هنا أمس صباحا • أليس كذلك يا مارجريت ؟

ـ هذا صحيح

ـ والصباح الذى قبله أيضا ؟

ـ نعم

ـ لقد أدركت ماذا وراء ذلك • فلما أبصرت الدخان يتصاعد من المدخنة فى هذا الحر الشديد علمت أن تقديرى كان صائبا •• نعم يا مارجريت • أنت حكيمة جدا وكتوم • لقد أحسنت صنعا

ـ أماه •• لا أدرى ماذا تقصدين بهذا الكلام بالضبط !

ـ ولكنى واثقة كل الثقة أنك تدرين ماذا أقصد • ان المحـــامى

باسلو كان يريد أن يقتحم هذه الحجرة ويجرد محتوياتها ويأخذ جميع ما فيها من الخطابات • ولكني أخبرته أنه من الخير أن يتركك تعثرين عليها

ـ ولكني مازلت أجهل •• لست واثقة ••

ـ تعنين أنك لست واثقة من أنني أعرف • اعلمي اذن انني أعرف مع أني اؤكد لك أني لم أقرأ هذه الخطابات • لانني كنت دائما أفتقر الى الاكتراث بأمرها ••

ـ أماه • ليتك تكلمينني بوضوح

ـ ربما كلمتك بوضوح وصراحة • أما الآن فاجلسي وافرغي من احراقها كلها • وقربي مقعدي من المدفأة • فاني أريد أن أدفيء نفسي أيضا بنار هذه الرسائل !

وأطاعتها مارجريت • لانها وجدت راحة في انهاء هذا الوقف العصيب والانصراف الى عمل ما • وركعت على الارض ودفعت ببقية الرسائل حفنة حفنة تدسها في النار وهي صامتة

ـ والآن يا مارجريت ما رأيك في أبيك ؟

وظل السؤال معلقا في الصمت حتى ثقل به هواء الحجرة الحار ، واختلط برائحة العطر الذي تتضمخ به أمها ، وبشعاع الشمس الغاربة ، ورماد الورق المتطاير ، حتى أوشك الغثيان والاغماء أن يستوليا عليها • ولاول مرة في حياتها روادها الشعور بأن الحياة في جملتها لا تستحق عناء العيش على الاطلاق

وأخيرا اجابتها بقولها :

ـ لا أدري

ـ لقد كانت صدمة لك بلا شك

فرفعت عينيها الى أمها وقد ارتسمت فيهما الحيرة وقالت :

ـ أماه • اني أشعر باعياء كلما فكرت في هذا • هل هذا صحيح حقا ؟ يخيل الى دائما أنني في حلم ، وأن ما عرفته غير صحيح !

ـ كلا يا ابنتي • لست حالمة • وانما أنت قد استيقظت لتوك من حلم طويل !

ـ أنا ؟

ـ انك تبدئين اليوم باكتشاف الكنه الحقيقي للحياة !

ـ ان كان كنهها أشياء من هذا القبيل • فخير منها الموت • انى اذن قمينة أن أفضل الموت

ـ تفضلينه على مواجهة الحقيقة ؟

ـ أماه لا طاقة لى على الجدل الآن • ولكنى أشعر أنـه اذا كانت تلك الحقيقة شاقة على الآن ، فكيف تراها كانت بالنسبة لك طوال تلك السنوات •• طوال ذلك الماضى ؟

ـ لا تهتمى بهذا • فقد تعودته • وعشرون عاما يا ابنتى زمن كاف كى يألف الانسان أيما شىء

ـ عشرن عاما ؟ منذ ولادتى ؟

ـ بل وقبل هذا فيما اعلم • كان داء ملازما له

ـ داء ؟

ـ نعم •• داء العجز عن الاقلاع عن مخـــادنة النســـاء وهو داء تنتشر أعراضه بين الرجال كما تعلمين • ولكنك طبعـــا لا تعلمين فانك قد بدأت اليوم فقط تتعلمين •• نعم يا ابنتى • كان أبوك رجلا لطيفا فاتنا حتونا سخيا • كانت فيه كل الصفات التى يمـــكن أن يتمناها كل انسان •• ما عدا الزوجة !

ـ أمى •• لابد أن الامر كان شاقا عليك جدا • كان فظيعا !

ـ نعم • فى البداية فقط • ولكن بعد المرة الاولى لم يعد للامـــر أهمية • فالرجل لا يستطيع أن يؤذيك من هذا الطريق الا مرة واحدة فانك لا تستطيعين أن تغفرى له ذلك حتى وان قلت أنك قد غفرت له وتتوقعين دائما بينك وبين نفسك ، ان يحدث منه هذا الشىء نفسه مرة فى كل وقت • وحينما يحدث ـ وهو عادة يحدث ـ تجدين أنك غير مكترثة لحدوثه ••

ـ وفى حالته هو •• يتكرر الحدوث ؟

ـ كثيرا جدا • حتى أننى لم أعد أحصى الاحداث !

ـ ولكن ما افظع هذا ! لابد أن الناس عرفوا ••

ـ أوه • كانوا يعرفون • كانت علاقاته حديث لندن كلها • ولكنه كان يمنى نفسه بأنى ربما كنت لا أعرف • ولا ســـيما حين لا أثير ضجة • فقد كان يكره الضجة • ويكره الشجار والخصام وكل ماهو من هذا القبيل • لقد كانت افكاره بسيطة جدا • بصورة عجيبة •

حتى أنه عندما تحدث منذ مدة قريبة عن الاقامة هنا بقية حياته ، خامره الاعتقاد بانني سأرحب به أخيرا وأنا مفتوحة الذراعين ! لقد كان رجلا لطيفا • لطيفا جدا !

ـ كان هذا هو اعتقادى فيه دائما !

ـ نعم • وكان اعتقادك هذا يريحه • أما أنا فلم يكن اعتقادى فيه يريحه ، ولذا كان ينأى بنفسه دائما عنى ، ويستريح لابتعادى المستمر عن طريقه • وكان مرضى طبعا حافزا للناس على زيادة عطفهم عليه •••

ـ أمى • لا أستطيع أن أتحمل سماع كل هذا

ـ ولكنك يجب أن تسمعى كل هذا •• لانها الحقيقة • انى أريدك أن تعرفى طرفا من الاشياء التى يستطيع رجل من طرازه أن يغدم عليها من غير أن يشعر بأنه يقترف خطأ خاصا • كان والدك عاجزا عن الاحساس بالخطأ . كان يعتبر نفسه دائما كالتلميذ الشقى الذى ينبغى أن يغتفر الجميع له هفواته • وفعلا كان الجميع يغتفرون له هفواته • ولعلهم كانوا يظنونه يفعل ماهو طبيعى أن يفعله رجل مكبل بالاغلال الى زوجة عليلة مثلى • ولم يعلموا أننى بعد أول مرة وبعد أول اكتشاف •• حدث لى انهيار عصبى تركنى مقعدة •• على هذا النحو

ـ امـاه !

ـ وكان أبوك شديد القلق على • وشديد الحدة أيضا •• لان الرجل المسكين لم يستطع أن يدرك ما هو السبب الذى أدى بى الى هذا

وبعد قليل سألتها مارجريت :

ـ وهل بومى يعرف كل هذا؟

ـ نعم • انه يعرف • ولكنى لم اخبره

ـ ماذا ترى كان شعوره ؟

ـ لابد أن شعوره كان كشعورى •• وهو أن الزواج على الجمله شىء فظيع وحقير • واولئك النساء اللواتى عاشرهن ابوك كن أسعد وأحظى بالحياة منى • لانهن حصلن منه على كل شىء فيما عدا الوفاء وهو شىء لم يكن ينتظرنه منه • وهى حياة لا بأس بها بالنسبة لامرأة

يمكن ان ترتضيها • أما من هن مثلى ومثلك ••

وقطعت عبارتها وسكتت قليلا ثم قالت :

ـ لا تتزوجى يا مارجريت •• لانك تنتظرين ممن يتزوجك أكثر مما يستطيع أن يمنحك اياه

ـ ولكن هناك بالتأكيد رجال • فريق من الرجـــال على الاقل فى طبيعتهم صدق ؟

ـ أظنك تفكرين فى فيليب ؟

ـ نعم أفكر فيه !

ورمشت عيناها وهى تقول ذلك

ـ ••• الست متفقه معى فى الرأى يا أماه ؟ أنا أعلم أنك لا تحبينه ولكن ألا تظنين انه طراز الرجل الذى يخلص للمرأة التى يتزوجها ؟

ـ ليس ان تزوجك أنت !

ـ لماذا ؟

ـ لانه لا يحبك يا مارجريت انه مفتـون بك فقط • أولا لانـــك بذلت قصارى جهدك لتحمليه على ذلك • وثانيا لانه لم يجد شيئـــا اخر يشغل به فراغه فى المساء وهو هنا • ان اهتمامه الحقيقى موجه فى المقام الاول الى عمله • كل طاقته مصروفة فى هذا الاتجاه • كل قوته • أما ما تبقى منه وهو ضعفه ، فذلك ما قد يمنحـك أو يمنع سواك اياه • انه يذكرنى بأبيك من وجوه كثيرة

ـ نعم نعم من بعض الوجوه • أعلم هذا ولكنه لا يشبهه فى هذا بالذات • انه مخلص • أنا أعلم أنه مخلص وأثق به كل الثقـة ! انى أومن به كما أومن بأى شىء فى الدنيا !

وترنحت واقفة على قدميها ، وهى تشعر أن الدنيا كلها قد اختلطت معالمها أمام وجدانها ، فلم تبق لها الا الثقة بفيليب • انها يجب أن تثق به • يجب والا فلن تجد شيئا تثق به فى الدنيا !

وغمغمت قائلة لامها وهى تلتمس طريقها الى الباب :

ـ انى أشعر بالاغماء • وسأخرج يا أمى لالتمس الهواء • وسأرسل اليك مينشن

وزار فيليب تلك الليلة ... وهى الليلة الاخيرة قبل رحيله • لانه

كان مزمعا أن يسافر فى قطار مبكر • وكان من المفهوم انهما سيتبادلان الرسائل كثيرا وسيلتقيان ثانية بمجرد اعداد العدة لذلك

ولم تكن لديه خطط معينة سوى أنه قد يمكث فى برمنجهـــام • فكل شيء يتوقف على عثوره على شخص يمكن أن يهتم بآلته الجديدة وهى كذلك لم يكن لديها أى تفكير محدد • فلم يكن فى وسعها سوى الانتظار الى أن تستقر أمور تركة أبيها • فان آل اليها شيء ولو قليل من المال مثل ايراد سنوى يبلغ مائة أو مائتى جنيه ، فسيكون ذلك كافيا لتمكينها من الزواج من فيليب ومساعدته فى اختراعه • أما اذا لم يؤل اليها شيء على الاطلاق فانهما سوف يتزوجان ويخـــاطران بمواجهة الحياة فى شجاعة فهذا ما كانت هى مستعدة له . موطنـــة النفس عليه . وظلا فى الليل يتجولان بين خمائل الحديقة التى يفوح عطر أزاهيرها فيعبق الهواء الندى • وجعل يقبلهـــا • يلثم فاهـــا وشعرها ووجنتيها وجيدها • ولكنها كانت تريد أن تتكلم • تريد أن تتكلم عن المستقبل ، وتحدثه عن تلك الاشياء التى يمكن أن تزيدهـــما قربا وتزيد صلتهما توشجا . ولكنه ظل يقبلها . فتركته غير مبالية مايصنع . وغفرت له ذلك فى يسر ، لان الرجال كما تعلم هكذا خلقوا ولكنها تريد أن تتكلم وهو يريد أن يقبل بلا انقطاع • ولتعـــارض رغبتيهما ظل يتهمها بأنها لا تحبه

ـ انك غريبة الاطوار الليلة يامارجريت . لست كعادتك . أنت الليلة باردة كالثلج ••

فقالت له بهدوء وبساطة وبلا انفعال :

ـ انى أحبك أكثر مما مضى يا فيليب !

ولكنها كانت تعلم أنه لم يفهمها . وأخيرا تركته يفعل ما يشاء ومع هذا ظل يشكو من برودها ••

وكانت متعبة عندما عادت الى البيت • فصعدت على الفور الى حجرة أمها لتحييها تحية المساء • ولم يكن الوقت متأخرا • فلم يزل بينهـــا وبين منتصف الليل نصف ساعة ، ولكن أمها كانت قد نامت فوقفت ترقبها وهى راقدة . ولمحت مارجريت صورة الجمـــال الذى ذوى . وأحست بالجريمة الفظيعة الغريبة التى اقترفها أبوها حين حـــول ذلك الجمال الى مرارة • وانحنت فقبلت فى أسى عينيها النائمتين ، ثم

صبطت السلم مرة أخرى على نية التحدث الى فيليب بعض الوقت · فهى ليلته الاخيرة · وربما ليلته الاخيرة اطلاقا فى هذا البيت

ولما وصلت الى البهو رأت باب حجرة الجلوس نصف مفتـــوح · ومن داخلها جاءها صوت ضحك ولغط حديث ·· صـــــوت فيليب المتحمس الاجش وصوت ليلى الطفلى الحاد · وكان فيليب قد قال لها شيئا أضحكها ، فأجابته بشىء من نفس الاسلوب

وكانت مارجريت وهى تعبر البهو تراهما بوضوح من خلال فرجة الباب · وكانت ليلى مضطجعة فى استرخاء فوق الاريكة القريبـــة من النافذة . وكان فيليب واقفا بالقرب منها منحنيا نحوها قليلا وهو يبتسم · وفجأة انفجرت ليلى تهتز بالضحك · فقـال لها شـــــيئا همسا · لابد أنه كان تحذيرا من ارتفاع صوتها ، لانها أجابته بغير مبـــالاة :

ـــ أوه · لا يمكن أن يسمعنا أحد ·· فمارجريت فى الطابق العلوى الآن مع أمى · ولا يمكن أن تعود بهذه السرعة

وعندئذ انقض فيليب بسرعة البرق والصق فمه بفمهـــا فطوقت عنقه بيديها

وتراجعت مارجريت فى صمت وسارت مبتعدة · فلم يعد هنـــاك ما تريد أن تراه أو تسمعه · وصعدت السلم مرة أخرى وأغلقت عليها باب حجرتهـــا

كانت هادئة تماما · أشد هدوءا مما كانت فى أى وقت من حياتها ··· لقد كان الذنب ذنب ليلى على الخصوص · لانها كانت تشـجع الرجال دائما على مغازلتها · ولكن ليس المهم الآن ذنب من هذا · فلا قيمة للامر كله · كل ما هناك أنها تشعر الآن بأن فى الدنيا أشـياء ـــ وهذا الامر من بينها ـــ لا يمكن احتمالها · لانها مستحيلة

وبعد قليل خلعت ثيابها وبدأت تبكى · انها تحبه كثيرا جـدا · وهى تعلم أنه لم يقصد سوءا · فهو فى هذا على شاكلة أبيها تماما ··

وفى ساعة مبكرة من صباح اليوم التالى كان ضوء الشمس يتسلل اليها حين جلست الى مائدة زينتها الصغيرة وتناولت ورقة وقلمـــا وكتبت الخطاب التالى بجرة قلم واحدة :

« عزيزى فيليب

« يؤلمنى كثيرا جدا فى الحقيقة ان أجدنى مضطرة لتسطير هـذا الخطاب اليك · لانى أعلم أنه سيبدو شديد القسوة عليك بعـد كل ما حدث · ولكن لاحيلة لى · لانى أشـعر أن الواجب يقتضيني أن أطلعك على الحقيقة · فأنا لا أستطيع أن أتزوجك · وليس هذا لانى لا أحبك · وليس هذا أيضا لسبب يتعلق بالمال من قريب أو بعيد بل لانى لا أعتقد أننا سنكون سعيدين معا · انى شديدة الاسـف يا عزيزى فيليب ولا أدرى ماذا أقول لك أيضا · ولكنى سأفكر فيك دائما وأتمنى أن يحالفك التوفيق العظيم فى عملك ···

المخلصة

مارجريت

ورد عليها برجوع البريد برسالة طويلة كتبت على عجـل غـير متسقة العبارات · زعم فيها ـ بين ما زعم ـ أنها تخلت عنه لانه لم يوطد أمر مستقبله بعد · واعترف أنه لم يصادف حتى الآن شـيئا من النجاح · ولكن هذا ليس ذنبه · ثم ختم خطابه بأن طلب منها أن تقابله فى شلتنهام ان كانت أمها ترفض أن يأتى الى البيت · وأعرب عن ثقته بأن شيئا ما قد أسىء فهمه · ولكنهما يستطيعان التغلب على ذلك بحديث قصير يتم بينهما فى أى مكان

وعلى الفور كتبت اليه الرسالة التالية :

« عزيزى فيليب :

« ينبغى ألا تحضر لمقابلتى هنا · واعلم أنى لا أستطيع كذلك أن اذهب الى شلتنهام · وفضلا عن هذا ينبغى أن توقن بأن المقابلة لن تغير شيئا من عزمى · فليس هناك سوء فهم أو سوء تفاهم · وانما هناك السبب الذى ذكرته لك فى خطابى ، وهو أننى لا أعتقد أننـا سنسعد معا ان تزوجنا · ويؤسفنى أنك تظن بى أشياء كثيرة لاصحة لهـا

المخلصة

مارجريت

وعاد للكتابة بأسلوب أكثر انفعالا فاتهمها بالغدر به لان اختراعه اكتنفه الفشل حتى الآن ، فاعتقدت أنه انسان لا خير فيـه ولا فى

اختراعه . ثم قال لها ـ فيما قال

« من المؤسف أنك لا تثقين بى وليس لك مثل ايمـــان أبيـك بمواهبى واختراعى . »

فكان صدور هذه الاشادة منه الى أبيها . ومنه هو بالذات من دون جميع الناس سببا فى زيادة تصميمها وهدوء نفسها فاجابته

« عزيزى فيليب :

« انى أقدر شعورك نحو اختراعك وان كنت تظـــن أننى لا أقدر ذلك والحقيقة انى أومن به كما كنت أومن به من قبل واذا اتضح لى من تصفية التركة أننى أستحق مبلغا من المـــال أيا كان ، فثق أننى سأقدم اليك من هذا المال كل ما أستطيع أن أستغنى عنه كى تمضى فى تحقيق اختراعك واخراجه الى حيز الوجود ، كما كان أبى يريد أن يصنع . ولكن لا حاجة بنا لان نلتقى

المخلصـــة
مارجريت

وجاءها منه بعد ذلك خطاب آخر . خطاب ملىء بالسخط والاتهام فأجابته اجابة موجزة :

« عزيزى فيليب :

« لم أستطع أن أفهم شيئا من خطابك . أو على الاقل لم أستطع أن أفهم مبررا لما ورد فيه من عبارات . فان عدت للكتابة الى بنفس الاسلوب فلن تتلقى منى ردا

مارجريت

□

وكان واضحا أنها أغفلت فى هذه المرة كلمة المخلصة أو الودود . وكتب اليها خطابا آخر ..

ولم ترد !

الفصل الثامن

بعد عشرين عاما

وقف بومى فى قاعة المائدة يضع فى طبق أمامه كمية من البيض المقلى المعد للافطار ، وقال لاخته مارجريت :

ـ هذا شىء صغير وجدته صدفة فى أحد حوانيت الطرائف فانت مغرمة بالالوان الفنية . ولذا طلبت منهم ان ينظفوه ويرسلوه اليك

وقطعت مارجريت الخيط الذى يضم اللفافة الصغيرة ، ثم فتحت الصندوق الصغير الذى بداخلها وكان على شكل قلب من المخمل الاسود . وبداخل الصندوق فوق الوسادة الصغيرة الحريرية ، رأت حلقة من البلاتين بها فص أسود عنبرى اللون فى حجم ثمرة اللوز ... حلية بديعة ملفتة للنظر !

وهتفت مارجريت مبتهجة :

ـ ما أجمله يا بومى ! انه جميل جدا . أليس كذلك ؟ وكم هو جميل منك ان تفكر فى احضاره لى !

ووضعت الخاتم فى اصبعها واخذت تنظر اليه معجبة

ـ ساحبه كثيرا . انظر ! انه يكاد يضاهى لون شعرى !

ـ انه من الحجر الكورنيلى . وهو ليس حجرا ثمينا جدا بالطبع ولكنه مع هذا لطيف وجذاب

وجلس بومى الى المائدة . وهو رجل طويل القامة نحيف مهيب المنظر عن بعد . يبدو أنيقا جدا فى ملابس الرائد العسكرى . وكان واضحا أنه رجل دقيق فى حركاته أنيق رقيق فى عاداته الشخصية. ومنظره لا بأس به بالنسبة لسنه . وان كانت ذقنه أصغر قليلا جدا مما ينبغى وأنفه أكبر قليلا مما ينبغى . وفى مقابل هذا كان لون

بشرته ناضرا كبشرة الصبيان . وتكوين راسه جميلا . وعيناه لونهما مزيج من الرمادى والبنى . وشعره شبيه بشعر مارجريت ، ولكنه خال من ذلك الطيف النحاسى . فهو احمر اللون حولت الايام اطرافا منه الى حمرة كالحة تضاهى لون الرمال . اما حين يبتسم ، فهو يبدو فى احسن صوره لان له فما جميلا واسنانا بديعة

وكانت سلة المهملات الى جوار مقعده وبين الحين والحين ، فى خلال الطعام ، كان يفض رسائله بخنجر صغير من العاج ، ويلقى بالمظروفات الفارغة الى السلة . ثم ينظر فى الخطابات نظرة عاجلة ويضعها على احد جانبيه . وكانت مارجريت تفعل مثل ذلك برسائلها ، ولكن باناقة اقل منه بكثير . وكانت رسائلها قليلة اما هو فكانت رسائله تزيد على العشرين

وقال وهو يفض الرسالة الاخيرة :

ـ لابد ان الناس سيكتشفون عنوانى الخاص ويرسلون الى هنا خطاباتهم المتعلقة بالعمل . واظنهم يستخرجون العنوان من دليل التليفون وما الى ذلك . وهذا فى الحقيقة مما يبعث على الضيق . فبين هذه الرسائل ثلاث او اربع كان ينبغى ان توجه الى المكتب

وانصرف الى الطعام برهة . ثم اكل ثمرة من ثمار الخوخ وقال :

ـ تيدى ليستر كتب ينبئنى أن ابنه ستيفن جرح فى آخر معركة كبيرة . . . فهل نحن نعرف ستيفن ؟ انا لا اذكر انه زارنا هنا . . . لابد ان اكتب الى تيدى على كل حال . . . وهنالك رسالة موجزة من ليدى هوجان ، تطلب أن يقوم احدنا بافتتاح سوق خيرية فى اليوم الخامس عشر من الشهر . فهل لك أن تقومى بهذا العمل ؟ فانا اكره الاشياء التى من هذا القبيل . اما بينج فيقول انه يقضى وقتا جميلا فى باريس مع رجال وزارة الحربية الفرنسية . وانهم سيمنحونه وساما . وهذا شىء يفرحه كما تعلمين !

وكانت الساعة التاسعة صباحا ذات يوم بديع من أيام سبتمبر وحجرة الطعام تغمرها الشمس المشرقة . والحجرة نفسها بديعة تكسو جدرانها اخشاب البلوط السوداء ، وبها مدفأة ضخمة كثيرة الزخارف

وقبل نهاية الفطور دخل الساقى بصحف الصباح التى وصلت

فى تلك اللحظة فتناول بومى التايمز ، وتناولت مارجريت الدبلى ميل . وبعد قليل هتف بومى وهو يرفع رأسه عن الصحيفة :

ـ ما أغرب هذا ! هنا نعى لمستر هولباين سميث . فهل هو نفس الشخص الذى قابلناه فى مارينباد سنة ١٩١٠ ؟

ولم تكترث مارجريت وقالت انه ربما كان هو . وتطلع بومى الى ساعة معصمه العسكرية ثم نهض قائلا :

ـ لابد لى من الذهاب اليوم الى المصانع . لانه لابد أن يكون هناك أحد فى مدة غياب بينج

واخرج من جيبه الجانبى علبة بديعة من الذهب المزخرف بالميناء وأشعل سيجارة مصرية . ثم قال :

ـ لقد نسيت يا مارجريت أن أخبرك عن نبأ آخر تضمنته رسائلى فهناك خطاب من قوم عرفتهم منذ سنوات فى سان فرنسسكو هم آل كارول . ويبدو أن ابنهم الوحيد فى الجيش الامريكى المعسكر هنا بالقرب من اكسفورد . وقد اعطونى العنوان ... واظنهم يتوقعون منا أن ندعوه لزيارتنا

ـ اتظن أن ذلك سيضجره ؟

ـ اهم من هذا السؤال بكثير أن نسأل انفسنا هل ينبغى أن ندعوه ؟ يمكننا أن نغامر بدعوته على كل حال ، لان آله كانوا مثقفين ومن المنتظر أن يكون ابنهم على مايرام . ولعلنى أرسل اليه اليوم سطرا او سطرين ان تذكرت هذا الموضوع

ووضع التايمز بعناية تحت ذراعه وابتسم لمارجريت ثم خرج الى البهو ، فتناول قبعته وقفازيه وعصاه ، ورد على تحية سائق فى ثياب الانباشى . ثم اتجه الى السيارة التى تنتظره

وهكذا بدأ يوم آخر من أيامه المشحونة بالعمل

وفى المساء جلس بومى فى مواجهة مارجريت على المائدة الكبيرة ، وبينهما امتار من التيل الابيض الذى كوى بغير نشا ، مساهمة فى المجهود الحربى للحلفاء . وسألها كالمعتاد :

ـ هل الوالدة على مايرام ؟

واجابته مارجريت كالمعتاد أيضا :

ـ كما هي . وقد اخبرتني انها ستنزل لمقابلة بينج عندما يعود
ـ اتراها تحب بينج ؟
ـ يبدو هذا
ـ امن المستحسن ان نقيم مادبة صغيرة ؟
ـ اظن هذا
ـ لن يكون هناك الا بينج وليلى . وربما ايضا ... مسز كلهون والكابتن لورانس !
ـ هذا حسبنا . فالطاهية لن تستطيع اكثر من هذا

واوما بومى الى الساقى ان يأتيه بزجاجة اخرى من نبيذ البرجندى وقال بعد أن ذهب الساقى ليأتى بالنبيذ :

ـ هذا المخلوق لا يبدو نشيطا جدا
ـ انه خير مانستطيع الحصول عليه فى الظروف الراهنة
ـ م. م ... بهذه المناسبة قابلت امس مينشن وانا خارج من مكتب البريد فى القرية بعد الظهر فاخبرنى انه بلغ اليوم التاسعة والسبعين من عمره . شىء لطيف . اليس كذلك ؟
ـ الم تعطه شيئا ؟
ـ خمسة جنيهات ... فلم يكن معى اقل من هذا . والحقيقة انني لم اندم على ذلك . فالمؤسسة تحقق ارباحا كبيرة فى المدة الاخيرة
ـ اوه !

وعبث بومى بقطعة من الخبز ثم قال :

ـ اطلعت على الارقام اليوم وهى ارقام مدهشة . ويبدو أن الحكومة تغرقنا بالمال . ولاحظت ان بينج يطالب الحكومة دائما باسعار هى ضعف ما ينبغى أن يطالب به فى الحقيقة ... ولا مفر من الاعتراف بأنها فضيحة من الطراز الاول ! ولكن يخفف من وقع هذا على نفسى ان الحكومة تسترد الجانب الاكبر من الايرادات فى صورة ضرائب !

واستمر الحديث بينهما على هذا النحو الى أن تناولا القهوة . ثم ذهبا الى قاعة الاستقبال ، وطالعا صحف المساء . وكان اهم الانباء فى تلك الليلة النجاح الكبير الذى أحرزه الحلفاء على خط

هندنبرج . فهل ترى بدات موجة النصر تنحسر عن الالمان ، وتتحول الى جانب الحلفاء ؟

وادار بومى الحاكى فسمعا مقطوعات من شومان ثم ذهبا الى فراشيهما . وكان آخر ما قاله لها عند باب حجرته :

ـ على فكرة ! لقد كتبت الى ذلك الفتى كارول !

ـ ومتى طلبت منه ان يحضر ؟

ـ اقترحت عليه انيحضر للعشاء ذات ليلة وان يبقى لدينا حتى الصباح . ولكنهم فى المعسكر قد لا يسمحون له بذلك . وعلى اى حال سنتلقى منه ردا

ومرت اربعة ايام من غير ان يأتيهم رد . وعاد من باريس فى خلالها بينج . او فلندعوه باسمه الكامل: الكولونيل اوين بينجلى. وجاء معه من باريس بطلبات عاجلة من سيارات لوفل فرينشام. وحضرت ليلى من بورتسموث . وحددت مأدبة العشاء فى ليلة ٩ سبتمبر . الموافق يوم الاثنين. وقبلت مسز كلهون والكابتن لورانس الدعوة

وبعد ظهر يوم الاثنين . قرب وقت الشاى جاءت هذه البرقية

« حصلت على اجازة وقادم الليلة . شكرا ـ كارول »

وكان بومى فى الحديقة يتفقد ازهاره المحبوبة عندما جاءته مارجريت بالبرقية . وقالت له :

ـ هذا موقف محرج للغاية

فاجابها بومى بمجرد قراءة البرقية :

ـ رديه الى معسكره بمجرد وصوله . لا اظن أن هناك مجالا لتصرف آخر . اليس كذلك ؟

ـ لقد ظن ان الدعوة مفتوحة ، وانه يستطيع ان يختار اى ليلة يشاء . وهذا مؤسف ... وطبعا سيفسد نظام المائدة اذا حاولنا أن ندبر له مكانا عليها

ـ المائدة ؟ هناك يا عزيزتى مارجريت ما هو اهم من ذلك . لا يهمنا بأى حال ان تقبل وجوده . فنحن اولا ليست لدينا اية فكرة عن شخصيته . وبفرض انه الطف انسان فى العالم ، فهذا لن يمنع بينج من كراهيته لانه امريكى .. ابرقى اليه اننا لن نكون

فى البيت الليلة. اوأى عذر من هذا القبيل يصلح لمنعهن الحضور
وأرسلت مارجريت برقية بهذا المعنى، وعاد الهدوء الى الاسرة
وذهبت مارجريت الى حجرتها فى وقت مبكر لترتدى ثياب السهرة
وكان عليها ان تقوم برعاية أمها، والاشراف على تبديل ثيابها للنزول
الى قاعة المائدة . لان الام مصرة على ذلك كى تقابل بينج . وظلت
تنتظر هذه الفرصة منذ أيام

وابتسمت مارجريت وهى تفكر وحدها فيما سيترتب على هذا
الاصرار ، اذ لا بد من اشعال النار فى مدفأة قاعة العشاء رغم دفء
الجو فى ذلك المساء . ولابد ايضا من دفع السكرسى المتحرك الى
موضع قريب من النار على المائدة كى يتسنى لها الاستمتاع بالدفء
والاستماع الى الحديث والمشاركة فيه بين الفينة والفينة

يالها من امرأة مدهشة ! ففيما عدا الروماتيزم الذى لم يزدد
سوءا منذ سنوات ، فهى تتمتع بصحة جيدة للغاية . وكان
فرجيسون يقول دائما انها لا تشغل نفسها بشىء ، ولذا فمن
المحتمل ان تعيش الى ان تبلغ المائة !

وساعدتها مارجريت فى ارتداء ثيابها . وروت لها اثناء ذلك
مسألة كارول . ثم تركتها وعادت الى حجرتها لتتم زينتها ، وقد
سمعت أصواتا فى البهو ، استنتجت منها أن بعض الضيوف قد
حضروا مبكرين . ثم دخلت عليها الخادمة وقالت لها لقد ارسلنى
كوكسون ياسيدتى لاخبرك أن هناك جندى حضر لمقابلة الرائد

ولم يكن فى ذلك ما يدعو للدهشة ، فما اكثر حضور الجنود فى
مهام لمقابلة الرائد . ولذا استغربت حضور الخادمة بهذا النبأ
فقالت الخادمة :

— والرائد فى الحديقة ياسيدتى ولذا قال كوكسون انك ربما
رغبت فى مقابلته بنفسك لتسأليه عما يريد

— وماذا عساه يريد ؟ الم يساله كوكسون ؟

— اظنه ساله ياسيدتى ولكن الجندى ينتظر فى البهو

— سانزل واراه بمجرد انتهائى من زينتى

واسرعت باتمام زينتها ثم نزلت فوجدت جنديا طويلا
جدا يتقدم لملاقاتها ويقول لها بهدوء :

ـ اسمي كارول .

فهتفت مارجريت وهي تحملق فيه بغباء :

ـ أوه !

وكان الموقف في غاية الحرج حقا . فاخوها يومي بعيد عن الدار وسط الحدائق الواسعة ، ومن المستحيل عليها ان تتبادل معه المشورة . وبينج وليلي ومسز كلهون قد يصلون في أية لحظة . والمائدة معدة وجميع الاسماء وقوائم العشاء مكتوبة وموضوعة على المائدة في اماكنها ... ولاحظت انه يحمل حقيبة صغيرة في يده اليسرى ، اما يده اليمنى فممدودة نحوها ، فتناولتها بطريقة آلية ، فضغط عليها ضغطة قوية نبهتها من ذهولها . فقالت له وهي تدعو الله أن يتأخر حضور بينج بضع دقائق :

ـ تفضل بالدخول الى قاعة الاستقبال

فوضع حقيبته وقبعته فوق مائدة البهو وتبعها

ـ كان كرما عظيما من مستر فرينشام أن يدعوني . لاني كنت اشعر بشيء من الوحشة فيانجلترا . ومن الجميل أن يجد الانسان هنا صديقا . انت فيما اظن مسز فرينشام ؟

ـ كلا كلا ... انا اخته . اخت الرائد فرينشام

ـ الرائد ؟ لم أعلم انه في الجيش البريطاني . في أية فرقة هو ؟

ولم تكن تعلم بالضبط . فلديها فكرة غامضة بان يومي لا ينتمي الى اية فرقة . فقالت :

ـ انه ليس ضابطا في الجيش العامل . فهو حائز على الرتبة العسكرية، ولكن مهمته التفتيش في انحاء الريف على آلات الطائرات

ـ ياله من عمل مجيد ! وانتم طبعا اصحاب سيارات لوفل فرينشام ؟

ـ نعم

ـ انها سيارات رائعة . وهي ذات سمعة عالية حتى في امريكا وكلمة حتى في امريكا هذه من طراز الكلمات التي تثير ثائرة بينج

والقت على وجهه نظرة فوجدته شابا وسيما ذاعينين زرقاوين بلون الفولاذ . ملامحة دقيقة. ويبدو عليه انه من اسرة كريمة وانه تلقى تعليما حسنا . وضغطت على زر الجرس وقالت له بهدوء :

ـ لعلك تحب ان ترى حجرتك ؟ العشاء سيكون بعد نصف ساعة

ودخل الساقى كوكسون فقالت له :

ـ خذ هذا السيد الى الحجرة الصغيرة فى البرج

وبعد خروجه معالساقى اسرعت مارجريت الىالمطابخ وتوسلت الى الطاهية ان تعيد توزيع الاصناف كى تكفى ضيف طارىء . ثم خفت الى قاعة العشاء ، ودبرت مكانا سابعا على المائدة بمساعدة الخادمة . وكانت تعلم ان بومى سيضيق بهذا لانه يكره جميع التعديلات المفاجئة ولكن لابد مما ليس منه بد ...

ورات بومى قادما مع الكابتن لورانس فاسرعت اليه واخبرته بما حدث ، فاستاء بومى ولكنها ضحكت وهونت عليه الامر

واقبلت ليلى مع بينج . وكان بينج فخما فى كسوة الكولونيل . يختال زهوا . اما ليلى فكانت تحمل آثار وضع آخر أولادها . وترتدى قرطا من الزمرد غالى الثمن احضره لها بينج من باريس . وانتهزت مارجريت الفرصة فشرحت لهما موضوع حضور كارول المفاجىء ، فقال بينج :

ـ سيسرنا ان نقابل اى صديق من اصدقاء بومى . ماذا هو ؟ رائد ؟ ملازم ؟ ام ماذا ؟

ولم تكن قد فكرت فى الموضوع من هذه الزاوية من قبل فقالت:

ـ اظنه جنديا عاديا . نفر فيما اعتقد . ان كان فى جيش هؤلاء الامريكان انفار !

فضحك بينج ساخرا ، وفى هذه اللحظة دخل كارول . وكانت قد اعدت له مكانا بينها وبين ليلى .وفى الجهة الاخرى يجلس بومى بين كابتن لورانس ومسز كلهون . وسيطر بينج على الحديث كعادته دائما . فهو متحدث بارع له دراية باشياء كثيرة . وله معرفة باشخاص كثيرين، ولذا لا تخلو جعبته من حكايات طريفة عنالناس

ولكن مارجريت كانت لا تحب منه هذه السيطرة على المجلس، وتتمنى لو انه ترك لسواه فرصة الكلام . الا انه فى اعتقادها كان زوجا موافقالاختها ليلىالتى بدت مزهوة ببريق قرطهاالجديدالثمين

وتحدث بينج عن الدسائس داخل الوزارة . وعن مونمارتر فى زمن الحرب : وعن الجنرالات الفرنسيين وحكاياتهم مع زوجاتهم

To: www.al-mostafa.com

وعشيقاتهم . ومن بوانكاريه وكليمنصو وغيرهمـــا من المشـــاهير الذين قابلهم اثناء زيارته الاخيرة لباريس . وروى عدة نكات لهـا اكثر من مغزى. فضحك منها يومى كثيرا ولكن مسز كلهون تصنعت عدم فهم احداها فكان ذلك مدعاة لامعان الرجال الثلاثة فى الضحك

اما الرجل الرابع فلم يكن فى نظر مارجريت سوى غلام . وهى تحب الغلمان . فسألته بهدوء وبصوت خافت اثناء انشغال الاخرين فى الضحك :

ـ كم مضى عليك من الوقت فى انجلترا ؟

ـ نحو ستة اسابيع

ـ وكم من الوقت تتوقع ان تبقى هنا ؟

ـ نحن فى انتظار الاوامر للسفر فى اية لحظـة الان بعـــد ان انتهينا من تدريبنا

ـ ان الانباء الاخيرة الواردة من الميدان انباء مبشرة

ـ جدا

ـ وهل انت متشوق للذهاب الى الميدان ؟

ـ جدا

ـ ولكن الا تشعر بالاسى لبعدك عن اهلك كل هذه المسافة ؟

ـ هذا شىء بغيض طبعـا . والواقـــع انى هربت من البيت وتطوعت بدون علمهم

ـ هذا عمل فيه قسوة

ـ كان هذا اسهل على نفسى من مواجهة المناقشة والمعارضة . ولك ان تعتبرى تصرفى منطويا على الانانية

ـ كلا كلا . انى اتصور شعورك . اتعلم اننى اشعر دائما بالاعجاب لان الامريكان انضموا الينا فى القتال ؟ انهم يعيشون بعيدا عنا جدا وكان من السهل عليهم ان يعتقدوا بأن المسألة لا تعنيهم

فقال لها باسما :

ـ انت اول شخص انجليزى اسمعه يقول هـذا . اما كثرتهم فيتذمرون لاننا لم ندخل معكم الحرب منذ أغسطس ١٩١٤

وكان بينج يصغى للجزء الاخير من الحديث فتدخل قائلا :

ـ ان الامريكان بارعون . فقد دخلوا الحرب فى النهاية ليكونوا

فى الجانب الرابح . فلديهم حاسة اقتصـــادية مرهفة . واظنهم متفائلين جدا بخصوص الحرب فى نيويورك ؟

ـ لا ادرى . فلم اذهب الى نيويورك مطلقا

ـ حقا ؟

ـ انى اعيش فى بلد يبعد ثلاثة آلاف ميل عن نيويورك . فحين تتوقع منى ان اكون فى نيويورك يشبه ان اتوقع منك ان تكون فى جبال الاورال

وكان ردا بارعا كما قال لها بومى فيما بعـد ، وبدات مارجريت تشعر بالاطمئنان الى سلامة روح السهرة . وســـاعد على ذلك جودة الشمبانيا والنكات المكشوفة نوعا ما التى اطلقها بينج فساد المرح جميع الموجودين . وفى قاعة الاستقبال استمع الجميع الى قليل من الموسيقى ، ثم حيتهم مسز فرينشام العجوز واحدا واحدا ثم دفع الساقى مقعدها نحو حجرة نومها . وبعد قليـل استاذن الضيوف فى الانصراف وبدأ السائقون يجهزون السيارات للرحيل

وكان الليل صافيا والهلال ظاهرا فى الافق الشرقى . وشعرت مارجريت بالراحة والانشراح لنجاح المأدبة وللانتهاء من شواغلها. وانصرف بومى الى الحديقة الشتوية ليبحث مع البستانى أعمـــال الغد وجلست مارجريت مع كارول فى حجرة الاستقبال وحـدهما وقالت له :

ـ ارجو الا تكون شـعرت باستياء للهجـة بينج . فهـو يكره الامريكان

ـ لا بأس . فمثل هذه الأمور لا تؤلمنى

ووجدت ان الفرصة مناسبة لتفسير البرقية التى سيجدها ولا شك فى المعسكر عند عودته . فقالت له :

ـ ساكون صريحة معك. الحقيقةاننا لم نكن راغبين فى استقبالك الليلة . وتوقعنا الا يكون هناك انسجام بينك وبين بينج . فارسلنا اليك برقية نتعلل بعذر من الاعذار لمنعك من الحضور .. ولكنك حضرت ومرت الليلة بخير

ـ ولكنى آسف جدا . فلابد ان البرقية وصلت الى المعســـكر

بعد انصرافي . كان ينبغي ان تخبريني لحظة وصولي

ـــ لا تفكر في هذا الامر . فقد سرني حضورك

ـــ حقا ؟ اتعنين هذا حقا ؟

ـــ ولم لا ؟ يجب ان تعود للزيارة عندما لا يكون بينج هنا

فابتسم وقال :

ـــ اظنك تحسبينني اشعر بالخشية منه . الواقع انياستظرفه

ـــ حقا ؟ بعض الناس لا يستظرفونه حتى بعدان تتوثق معرفتهم به . انه مهذب جدا . ولكن عيبه انه يحب السيطرة

ـــ وانت ؟ الا تحبين ان يسيطر عليك احد ؟

ـــ لقد كنت دائما ارفض كل سيطرة على . ولهذا اشعر بتوتر في اعصابي كلما كان بينج هنا !

وفطنت الى انها تكلمه كما لو كانت تعرفه منذ سنوات . فجعلها ذلك تتوقف فجأة عن الكلام . وطال الصمت الى ان قال لها وهو يتجه بنظره ناحية المعزف الكبير :

ـــ اتعزفين ؟

ـــ قليلا ما اعزف . وهل تعزف انت ؟

ـــ قليلا جدا ايضا . ولكني لم المس معزفا منذ شهور

ـــ اذن فلا بد انك تتحرق شوقا الى لمس هذا المعزف

ـــ هذا هو الواقع . فهل تسمحين لي ؟

ـــ طبعا

فنهض من جوارها وجلس الى المعزف وسكت برهة كأنه عاجز عن التفكير في المقطوعة التي يجب ان يؤديهـــا . ثم شرع يعزف مقطوعة من شوبان من مقام س الصغير . ولـــكنه بعد قليل بدا يتردد في العزف ويتعثر . فقال :

ـــ آسف . هذه المقطوعة اصبحت عسيرة الاداء على الآن . لقد تيبست اصابعي . ساحاول شيئا اسهل منها

ثم عزف مقطوعة ضوء القمر من تاليف ديبوس . فكان بارعا رشيقا في لمساته . وبعد الانتهاء من النغمات الاخيرة قال لها :

ـ ان المعزف بديع الاداء
فاجابته بهدوء قائلة :
ـ وكذلك عزفك
فاحمر وجهه خجلا وقال متلعثما :
ـ بل المعزف هو الرائع حقا ... صوته غنى .. وحنون
ـ هذا لانه عتيق . لقد اشتريناه من آل شتاينواى عام اليوبيل الماسى للملكة فيكتوريا . وكانوا قد اشتروه مستعملا ايضا
ـ يالله من معزف عتيق رائع . ان عام اليوبيل هو عام مولدى
ـ وانا كنت يومئذ فى العشرين . واتذكر انى ذهبت مع ابى لمشاهدة المهرجان الكبير
فدار فوق المقعد المستدير وحملق فى وجهها قائلا :
ـ اذن انت فى الحادية والاربعين الآن ! ولم اكن اقدر لك اكثر من الثلاثين عاما واحدا !
ـ هذه تحية لطيفة من جانبك !
ـ لم اقصد المجاملة . هى الحقيقة !
فضحكت . وفى هذه اللحظة عاد بومى . وذهب الثلاثة الى قاعة لطعام حيث شربوا كاسا قبل الذهاب الى الفراش . وقال بومى انه يريد أن يطوف مع كارول الحدائق فى الصباح . فادى ذلك الى مناقشة برنامج كارول . لكنه قال بانه يجب أن يعود الى المعسكر ظهرا . ولذا يجب ان يستقل قطار التاسعة والثلث . فقال بومى :
ـ هذا معناه انك سوف لا ترى الحدائق . وهذا القطار بطىء ومزعج . لو انه امكننى الاستغناء عن سائق لكلفته ان يوصلك الى المعسكر فى احدى سياراتى
فقالت مارجريت على الفور :
ـ ساوصله فى سيارتى انا يابومى بعد أن يشاهد الحدائق
ـ هذا ازعاج شديد لك بسببى !
ـ لا عليك . انى اذهب كثيرا الى اكسفورد لشراء ما يلزمنى . وهناك امور كثيرة سيمكننى قضاؤها هناك غدا . فلن تذهب الرحلة معك سدى

الفصل التاسع

سؤال

نعم كان بومى مبتهجا بمعرفته . فآله يملكون حديقة كبيرة كما قال لمارجريت فى صباح اليوم التالى وهى جالسة فى سيارتها ذات المقعدين تنتظر قدوم كارول بحقيبته . واستطرد بومى يقول :

ــ وليست حديقتهم طبعا كهذه الحديقة . ولكنها مع هذا حديقة لطيفة . تصورى انه قال لى انهم يستنبتون الازهار التى نزرعها هنا فى الحديقة الشتوية تحت الزجاج ... يزرعونها هناك هكذا فى الهواء الطلق بغير تدفئة خاصة . وهو حقيقة شاب لطيف المعشر بصورة خارقة للعادة . وأعتقد انه عرف كيف يصعد لبينج فى الليلة الماضية . وبينج كما تعلمين يحتاج الصعود له الى صفات خاصة ولم يتسع وقتى كى أريه جميع ارجاء الحدائق للاسف الشديد . ولذا يجب ان يأتى مرة ثانية ليشاهد البقية

ــ لعلنا اذن سندعوه للحضور فى عطلة الاسبوع القادمة ؟

ــ هذه فكرة طيبة . نعم . وجهى اليه الدعوة على كل حال ... والآن يجب ان أسرع بالذهاب ، وقد ودعته قبل ان يصعد لاحضار الحقيبة . فلابد لى من البت فى موضوع كارديف اللعين

وانصرف على عجل فشيعته مارجريت بابتسامة

وكانت الساعة العاشرة صباحا . والشمس ساطعة . ولا شك انه سيكون من السهل الوصول بالسيارة الى اكسفورد قبل الظهر . ولما ظهر كارول وراء السيارة ابتهج كثيرا وقال :

ــ كنت أخشى ان تكون من نوع الليموزين الضخم

فضحكت مارجريت وقالت له :

ــ انا اكره السيارات المقفلة

فقفز الى جوارها وانطلقت به . وكانت السيارة مريحة ومن اكثر منتجات لوفل ـ فرينشام شعبية . وكانت مارجريت تقودهـا في يسر وثقة ، فشعر بالسعادة منذ اول لحظة . وعنـدما وصلت السيارة الى الطريق العام ، وغادرت الاسوار قال لها :

ـ بهذه المناسبة . لقد أحببت شقيقك كثيرا

ـ حقا ؟ لشد ما يسرني هذا !

ـ والحدائق . . . ما أروعها !

ـ الناس كلهم يقولون هذا ، مع ان الحدائق قد اهمل شانها في المدة الاخيرة اهمالا كبيرا ، لانه لم يعد في استطاعتنا بسبب التجنيد ان نستخدم أكثر من بستاني واحد متفرغ ، ولكن بومي يعيش من اجل هذه الحدائق ، حتى انني اقول دائما انه يفضل في حالة قيـام الالمان بغارة جوية على هذا المكان ان يصبوا قنابلهم على البيت لا على الحديقة والاشجار !

وانساب الحديث بينهما هينا ، وكارول يبدي افتتانا بالمناظر الجميلة على طول الطريق ، ويقارن بين هذا الجمال في المساحات الصغيرة وبين الآفاق الشاسعة المترامية في امريكا

ـ ولكنك ستحبين امريكا . ولا اقصد طبعا نيويورك والمدن الكبيرة بل تلك الاجزاء الهادئة التي لايزورها السياح عادة ، مثل اوريجون وتكساس ولويزيانا

ثم أخبرها مزيدا عن نفسه فهو ولد وحيد ، والله ليسوا من كبار الاثرياء ، لان والده خسر في المضاربات في المدة الاخيرة ، ومع هذا استطاع ان يدبر امر ارساله الى جامعة ولاية كاليفورنيا في بيركلي . وكان في السنة الثالثة موفقا في دراسته عندما دخلت امريكا الحرب فغير ذلك كل شيء في حياته ، فاغراه حب المغامرة بالتطوع

ووجهت اليه مارجريت الدعوة للحضور في نهاية الاسـبوع القادم باسمها واسم أخيها فاظهر سرورا عظيما وهتف :

ـ سيسعدني جدا ان احضر ان استطعت . . . ولكن اظنني استطيع . . . اوه لابد لي من الحضور بأي شكل !

ووصلا الى مدخل المعسكر قبل الظهر بعشر دقائق ، فشـد على يدها باسما ، وخيل اليها ان وجه هذا الامريكي الشاب يمثل كل

جديد ناضر فى الحياة . واخذت تبتسم وتلوح له بيديها قبل ان تنطلق بالسيارة ويغيب عن ناظريها

□

وتمخض ذلك الاسبوع عن امور مثيرة ، لا بالنسبة للقارة الاوروبية فحسب ، بل وايضا بالنسبة لهاى ستاو . ففى يوم الاربعاء وقع حادث طفيف لبومى اذ تعثر بنتوء فى الارض فسقط وهيض ذراعه ولم يذهب الى الفراش كما نصحته أمه ، بل توجه الى المستشفى المحلى فى المساء ، واستشار طبيبا من اصدقائه فقيل له انه سيحتاج الى علاج بالتدليك مدة من الزمن

وفى وقت متاخر من مساء الجمعة بعد موعد العشاء وصل كارول، ولم يكن ارسل فى خلال الاسبوع سطرا واحدا فلم تدر مارجريت وبومى فى اى وقت سيكون حضوره . وكان الاثنان فى قاعة الاستقبال وبومى يبحث عن اسطوانة من اسطوانات الحاكى يريد ان يسمعها اما مارجريت فكانت تمر بأصابعها فى كسل فوق المعزف واذا بالباب يفتح ، واذا كارول يندفع نحوهما متخطيا الساقى كوكسون بشبابه وحيويته الفياضة وتحت ذراعه صحف المساء :

ـ الانباء الليلة هائلة . فقد اخذ رجالنـــا الوفا من الاسرى ، واستولوا على سان ميهيل بأسرها !

وشد على يد مارجريت شدا قويا نقل اليها تيارا من حماسته ، كأنما أزيح الستار فابصرت اشياء لم ترها عينها من قبل . ثم فطن الى ان ذراع بومى معلقة فى ضمادة ، فابدى قلقه ، ولكن بومى طمأنه الى ان ذلك الرض لن يحول دون جولتهما غدا صباحا فى ارجـــاء الحدائق . فقال كارول :

ـ هذا جميل لانه قد لاتسنح لى فرصة اخرى لمشاهدتها . اذ اننا نتوقع صدور الاوامر الينا بالذهاب الى الميدان فى اية لحظة فنحن الآن لا نصنع شيئا فى المعسكرات سوى انتظار الاوامر . ولذا سمحوا لى بهذه الاجازة بسهولة

ودعاه بومى الى قاعة المائدة ليتناول كأسا من الشراب معهما . وبعد تناول تلك الكأس ، ذهب بومى كعادته كل ليلة للتفتيش الاخير على الحديقة الشتوية ، وبقيت مارجريت مع كارول وحدهما .

فقالت له :

ـ هذا غريب . انني اشعر حقيقة انى اعرفك منذ سنوات

ـ حقا ؟ وهذا بالضبط ما اشعر به نحوك ونحو بومى وهذا البيت وكل ما هو انجليزى . وبهذه المناسبة اتظنينه يستاء اذا ناديتـــه باسم بومى ؟

ـ انا واثقة انه لن يستاء من ذلك. وتستطيع ايضا ان تنادينى مارجريت . وسانادیك باى اسم تشاء

ـ اسمى الاول انتونى . ولكنى لا احبه كثيرا . وافضل ان انادى باسم كارول بالطريقة التى تنطقينها انت !

فابتسمت وقالت :

ـ وهو كذلك . ليكن كارول اذن

ـ فلنسرع ونوثق المعرفة بيننا . فانى اشعر أن العالم يدور من حولنا بسرعة فائقة ، وانه ينبغى ان اجرى باقصى سرعتى لالاحقها

ـ اننا على كل حال سنستفيد فائدة كاملة من عطلتك . واذا كان بومى سيستأثر بك فى الصباح ، ففى استطاعتنا على كل حال ان نذهب بعد الظهر ان شئت بنزهة فى السيارة الى مكان ما

ـ لشد ما احب هذا !

ـ او نتسلق تل ستاو

ـ وانى لاحب هذا ايضا !

ـ واذا تغدينا فى ساعة مبكرة فقد يتسع الوقت للامرين معا !

ـ اذن يجب ان يتسع الوقت للامرين معا !

ـ وفى المساء اريدك ان تعزف . فسوف لا يأتى احد لتنـــاول العشاء . وها نحن اولاء قد شغلنا لك وقتك كله

ـ انى سعيد بهذا جدا . بل انى مستعد ان اعزف لك الآن يا مارجريت ان احببت ذلك ..

ـ نعم . ارجوك

وذهبت معه الى قاعة الاستقبال حيث شرع على الفور فى العزف فعزف على التوالى مقطوعات كثيرة من شوبان ورافل وشـــومان وبتهوفن . وبعد ان انتهى من عزف آخر مقطوعة قالت له :

ـ الحقيقة انه يجب ان تحترف العزف !

ـ كنت مزمعا ان احترفه لولا قيام الحرب

وفى هذه اللحظة عاد يومى فاقترح عليهما تناول كاس اخرى . وحان منتصف الليل قبل ان يذهب ثلاثتهم الى مخادعهم . وكان آخر ما قاله يومى لاخته :

ـ انها لجريمة ان يرسلوا فتى كهذا الفتى الى خط النار وهو فنان موهوب . وأن يتركوا الوفا من الخاملين والعاطلين من المواهب فى وظائف شبه مدنية لا خطر فيها على الاطلاق . انها جريمـــة لا تغتفر !

واستأثر يومى بكارول فى الصباح. ولكن مارجريت كانت قد أعدت العدة لغداء مبكر ، وبعد الغداء مباشرة ، فى الساعة الثانية بعد الظهر، كانت سيارتها الصغيرة تجوس بها بين التلال . وكان كارول لا يكف عن ابداء اعجابه بالمناظر المختلفة فتشعر لرنة ذلك الاعجاب بصدى فى نفسها كان اعجابه موجه اليها شخصيا . ثم اظهر دهشته لاتقانها قيادة السيارة هذا الاتقان الفائق ، ثم استطرد قائلا :

ـ ولكن لا عجب فى هذا لان اسرتك تعتبر من أوائل القـــائمين بصناعة السيارات فى العالم . اليس كذلك ؟

ـ انا لا استطيع ان ادعى هذا . وكل ما هنالك ان ابى كان دائما على استعداد لاحتضان المشروعات الجديدة . فلما مات فجاة وظفت امى مالها فى تلك الصناعة . وبعد ذلك انضم الينا بينج .. ولكننـــا لم نخترع شيئا بانفسنا

ـ اعتقد ان معكم فى المشروع شخصا اسمه لوفل أيضا ؟

ـ نعم وهذا هو المخترع

ـ اذن فكل منكما كان سببا فى ثراء الاخر ؟

ـ لا اعتقد ان هذا هو الوضع الصحيح للمسالة . فالواقع اننا اشترينا منه اختراعه لقاء مبلغ صغير . ثم ظللنا سنوات كثيرة نخسر فى انتاج السيارة الجديدة . ولم يبدأ الكسب الا قبل بداية الحرب مباشرة . وعندئذ بدانا نفكر فى ترتيب معاش مجز للمخترع واذا به يموت فجاة

ـ هل كان مسنا ؟

ـ بل كان شابا . او على الاقل هكذا يبدو لى أنا . لانه مات فى الثانية والاربعين

ـ ولكنكم اشركتموه فى اسم السيارة على كل حال !

ـ نعم لقد سعدت . . بل سعدنا كلنا بذلك . واظن ان هذا الاسم ابهجه اكثر من المال . فقد كانت حياته ماساة

ـ كنت تعرفينه جيدا بالطبع ؟

ـ نعم

وتناولا الشاى فى شلتنهام ، ثم عادا عن طريق تل ستاو . وهناك صعدا الى القمة معا على الاقدام ، واخبرته بتاريخ البرج العجيب

وفى تلك الليلة تناولا عشاء متاخرا ، وظل بومى يتحدث بلا انقطاع عن الحدائق . وادهش مارجريت ان ترى امها تنزل الى قامة الطعام قرب نهايته . وبدا عليها انها تستظرف كارول بصورة واضحة . وكان الفتى شديد الهذب والاهتمام بها ، فتجاذب الاثنان حديثا طويلا متشعبا . ولما ذكر موضعا معينا فى امريكا ابتسمت السيدة العجوز وقالت :

ـ نعم لقد ذهب مستر فرينشام والد مارجريت وبومى الى هناك مرة . فقد كان من كبار الرحالة . ولا اظن ان على وجه الارض قطرا لم يزره مستر فرينشام . فقد شملت اسفاره جنوب افريقيا وامريكا والهند واستراليا وزيلندة الجديدة وسيبيريا . . .

وابتسمت مارجريت لحماسة امها كلما ذكرت زوجها فى الايام الاخيرة . ويبدو انها نسيت كل شىء عنه ما عدا الاساطير التى نسجت حول شخصيته وابهته ، فصار فى نظرها تلك الشخصية العجيبة التى تعرف كل شىء وكل انسان . انه بطلها الاسطورى

وابتهجت مارجريت لان امها احبت كارول . ولم يعد لديها شك فى ذلك عندما سمعتها تطلب منه ان يعزف لها شيئا بعد العشاء ، وامرت ان يدفعوا مقعدها المتحرك الى جوار المعزف . فعزف كارول لها مقطوعتين من الفالس لشوبان ، فشكرته وصعدت الى فراشها واستمر هو يعزف الى ان وصلت صحف المساء . فاخذ يطالعها بشغف لانها كانت تتضمن مزيدا من التفاصيل عن الانتصارات الامريكية فى سان ميهيل . ولما تركهما بومى لزيارة الحديقةالشتوية

كعادته جلست بجواره على الاريكة فابتسم وقلب صفحات الاطلس الذى بين يديه والذى كان يراجع فيها خريطة المعركة . وعلى خريطة تمثل الولايات المتحدة جعل يدلها على الطريق التى ستسلكها الى كاليفورنيا حين تأتى لزيارته . والتقى راساهما فوق الخريطة الكبيرة وعيناها تتابعان حركات أصابعه ، الى أن بدأت الوانها واسماء ولاياتها تتداخل وتهتز امام عينيها . ولما وصلت سبابته الى سان فرانسيسكو استولى عليها صمت ، الى أن رفعت اليه عينيها وقالت :

ـ انك تفكر فى شىء ؟

ـ نعم وكذلك انت

ـ لقد كنت افكر يا كارول فى هذه الحرب . ويدهشنى أن رجالا من كاليفورنيا وتكساس ولويزيانا يقطعون آلاف الاميال ليحاربوا فى فرنسا . ان هذا يبدو نوعا من المعجزة والآن فيم كنت تفكر انت ؟

ـ لم اكن افكر فى شىء من هذا اطلاقا

ـ فيم اذن ؟

ـ الن أحنقك ان اكون صريحا ؟

ـ كلا بالطبع

فاجابها بهدوء وهو يبتعد براسه عن راسها :

ـ كنت اتساءل لماذا لم تتزوجى قط

وشعرت باعياء غريب يستولى عليها ويسرى فى اطرافها ، حتى انها اتكأت على وسائد الاريكة ، وهمست بقولها :

ـ هذا سؤال من الصعب الاجابة عنه

ـ انه ليس سؤالا . ولست اريد عنه جوابا . وانما هو الموضوع الذى كنت افكر فيه واقلبه فى راسى

وابتسمت للهجة الجد التى يتكلم بها

ـ ربما أخبرتك بهذا كله يوما ما

ـ ولكنى لم اطالبك بالاجابة يا مارجريت

ـ ولكن هب انى احب ان افضى بها اليك ؟

وقطع عليهما الحديث دخول بومى

▱

وكان اليوم التالى رطبا بعض الشىء يكتنفه ضباب خفيف ولكنها

خرجت به فى الصباح ، فتنقلا بالسيارة مخترقين شلتنهـــام الى تويكسبيورى . وتناولا الغداء هناك بعد أن شاهدا معالم المدينـة العتيقة ثم اتجها الى بريدون . وبدا لهما تل بريدون وسط الضباب وكأنه جبل شاهق . ثم افراهما المنظر بالصعود الى القمة فتركا السيارة وبدءا فى التسلق . وقالت له :

ـ هذه هى المرة الاولى التى اتسلق فيها هذا التل

ـ هذا جميل . فكلما قلت لى هذه أول مرة ازور فيها هذا الموضع منذ كذا وكذا من السنين اشعر بالسخط لانه يوحى بانك عجوز

ـ ولكنى عجوز فعلا !

ـ لست عجوزا ! انك فى مثل سنى .. فيما يتعلق بكل اساسيات الحياه

فابتسمت وقالت له :

ولكنى اعلم انى عجوز . حتى وان كنت لا تعلم هذا . فعندما كنت فى سنك كنت استطيع ان اتسلق هذا الجبل من غير توقف . أما الان فانظر كيف الهث كانى آلة بخارية !

ـ لابد انك كنت رائعة فى تلك السن . ولكنك اشـد روعة فى الوقت الحاضر . وما اكثر الفتيات الرياضيات فى سن العشرين . ولكنى لم اقابل فتاة تضاهيك يا مارجريت

ـ انك تجاملنى بجاملة مسرفة !

ـ بل انى اعنيها بحلافيرها يا مارجريت ، فانا بكل امانة لا استطيع أن اتخيل فتاة فى العشرين تضارعك فى سحرك وفتنتك

ـ هذا غير معقول . فانا استطيع ان اعطيك اسماء عشر فتيات على الاقل من بين أصدقائى . وان اردت الدليل سادعو بعضـا منهن للغداء غدا

ـ ارجـــوك الا تفعل ! لانى ساكرههن ، فانا فى الواقع لا احب الفتيات !

ـ حقـا ؟

ـ انا افضل الرجال دائما . ولا اشعر بالارتياح مع الفتيـــات لما فيهن من بلاهة وتفاهة اما انت .. فهادئة رزينة وتشـــعرينني بطمانينة الكاملة

ـ هذا لانى اكبر سنا

ـ كلا كلا من فضلك . وحتى لو كان الامر كذلك ، فالسن اذن هى احب شيء فى الدنيا . واظن هذا ايضا هو راى الاخرين

ـ الاخرين ؟ مثل من ؟

ـ بينج مثلا . فقد فطنت لنظراته اليك فى الاسبوع الماضى وكان واضحا جدا اعجابه بك

ـ هذا هراء يا كارول . فبينج ينظر هكذا الى كل امراة متى شرب كاسا من الشمبانيا او كاسين

ـ ليس الى كل امراة فى الاربعين على كل حال !

وقرب القمة توقفا عن الصعود ليستعيدا انفاسهما . وقد انقشع الضباب من فوقهما وتجمع من تحتهما ، فكان المنظر بديعا جدا . ونظرت مارجريت نحو التلال الاخرى البعيدة التى برزت قممهـا فوق الضباب وقالت له :

ـ الم تزل تتساءل لماذا لم اتزوج قط ؟

ـ لا تقولى لان بينج تزوج ليلى ؟

فضحكت وقالت له :

ـ ولكن هذا هو السبب فعلا . ومن العجيب انك ادركت ذلك من تلقاء نفسك ! ان المسالة كلها تبدو لى بعيدة عن التصديق الآن ولكن هذه هى الحقيقة على كل حال فقد مضى على وقت كنت مستعدة فيه أن أرتمى على عنق بينج عند أول اشارة منه

ـ هل كنت تحبينه ؟

ـ كنت اظن انى احبه . ولعلنى كنت احبه فعلا عندئذ . ولكن هذا كان منذ زمن طويل . كنت يومئذ فى الخامسة والعشرين . وكان بينج هو مدير المؤسسة ، فكنا نراه كثيرا بطبيعة الحال . واليه يرجع الفضل فى توطيد دعائم المصنع . ولولا جهوده الادارية والمالية الخارقة لكنا كلنا اليوم فقراء . ورغبت امى فى أن يتزوج احدانا . ولم يكن يعنيها من هى التى يتزوجهـا . فاختار ليلى لانها كانت جميلة جدا

ـ لابد ان وقع ذلك عليك كان قاسيا للغاية !

ـ هكذا كان شعورى عندئذ . ولكنى سعيدة الآن لانى لم اصبح

مسز بينج

ـ انه يبدو لى على ما يرام

ـ انه كذلك فعلا ، ولكنه يفرض دائما ارادته عليك لا تدرى كيف . وليلى لا تبالى بذلك . اما انا فتكوينى مختلف عن تكوينها

وشرعا يهبطان التل . فقالت له :

ـ انه لعجيب جدا ان افضى اليك بأسرارى على هذا النحو !

وامتلأت عيناها بالدموع وهى تضع يدها على ذراعه وتقول :

ـ كل شىء فيك ناضر جديد . وانا كل شىء فى عتيق . واظن ان هذا كان بداية المناقشة بيننا ...

وركبا السيارة عائدين من طريق التلال . وكانت تتكلم طول الوقت تقريبا وتشجعه على القاء الاسئلة . ثم قالت له قرب الدار :

ـ من العجيب حقا أن أخبرك انت بما كان فى نفسى من تعلق ببينج فيما مضى . فما من احد يعلم هذا ولا سيما بينج نفسه

ـ الم يحس بشىء ؟ الم يخمن ؟

ـ اطلاقا . وكان ذلك مصدر متعة لى

ـ لا أظن هذا . فمن الفاجع جدا أن الرجل الوحيد الذى احببته فى حياتك لم يفطن الى تلك الحقيقة !

فضحكت عندئذ ضحكة عصبية وقالت :

ـ اراك تقفز الى النتائج بصورة رومانسية يا كارول . فمن الذى قال لك ان بينج هو الرجل الوحيد الذى احببته فى حياتى ؟

واحست باضطرابه . فشعرت بصدى ذلك فى نفسها مزيجا من اللذة والخوف . وطاب لها أن تكاشفه بتلك الامور المطوية فى سريرتها ، فقالت :

ـ الواقع يا كارول انه سبق لى حب مثير للغاية وانا فى العشرين من عمرى مع الرجل الذى اخترع السيارة .. فيليب لوفل !

ـ رباه !

ـ لست ادرى ما الذى جعلك تصيح هكذا . فليس عجيبا قطعا ان تفتتن فتاة فى العشرين من عمرها بمخترع شاب جميل الصورة وقد جن كل منا بالاخر جنونا حقيقيا زهاء شهر من الزمن . حتى لقد ظننت ان هذا الحب هو الحب الاكبر فى حياتى ... وقد

تخليت عنه فيما أذكر لاني ضبطه يعانق ليلي ويغازلها

نعم هذه هي الحقيقة . وما اغباني في تلك الايام

ـ لا اصدق هذا !

ـ ولكنها الحقيقة . لقد كنت فتاة لا تطاق وانا في تلك السن ، ولا تصلح لرجل يريد ان يوطد مستقبله . كنت اريد ان استاثر من وقته باكثر مما يجب . وكنت اغار لانه لا يهمل عمله لينصرف الى حبي وصحبتي . واعتقد انه احس بالراحة في اعماقه عندما تخليت عنه

ـ ولكنك كنت تحبينه ؟

ـ بصورة لا توصف !

ـ وماذا عنه هو ؟ هل تزوج فتاة اخرى ؟

ـ كلا . فهو ليس من الطراز الذي خلق ليتزوج . ولكن بصيرتي يومئذ لم تسعفني بهذا الاكتشاف . فعمله كان مقدما لديه على كل شيء . ولم يكن اهتمامه بالنساء الا شيئا ثانويا عندما يكون لديه متسع من الوقت

ـ ان هذا يبدو فظيعا !

ـ كلا ! لقد كان لطيفا جدا مع الفتيات اللواتي كن يغازلنه على شرطه . وكانت غلطتي انني احببته حبا حقيقيا . وفيما بعد ، لما خمدت الجذوة صارت العلاقات بيننا ودية جدا . وكان من الفاجع حقا ان يموت في اللحظة التي بدأ فيها نجاح عمله

فجمع قبضتيه وحدق امامه بأسى وقال :

ـ هذا امر فاجع ، نعم له ولك ايضا يا مارجريت !

ـ لقد افتقدته كثيرا بالطبع

ـ ولكن في مجموع حياتك يا مارجريت بصرف النظر عن الفاجع فيها وغير الفاجع ، وبصرف النظر عن هذا الحب الاول ثم حبك لبينج ... الم تشعري في غضونها بسعادة على الاطلاق ؟

فاجابته وهي تضحك ضحكا هادئا عميقا كانها تتحداه :

ـ بل حفلت حياتي باكداس فوق اكداس من السعادة . اؤكد لك هذا . ام تراني ابدو نموذجا للتعاسة ؟

وكان الغسق قد خيم على الطريق والمراعي . والقمر قد توسط

السماء . والرياح قد اخذت تكتسح امامها الضباب وتطرده من الوديان ، فقال لها :

ـ كم اتمنى لو صعدنا تل ستاو مرة اخرى !

ـ فى استطاعتنا ذلك ان كنت تريد ذلك حقا

وتركا السيارة عند السفح وشرعا فى الصعود . ورنت على البعد اجراس كنيسة . فلما ارتفعا عن سطح الارض بدت لهما عن بعد انوار هاى ستاو . ولما رفعا راسيهما ، وجدا ضوء القمر ينعكس على البرج العتيق ، وكانه منارة مرفوعة فى عرض اليم . وبعد ان وصلا الى القمة شرعا فى الهبوط من الناحية الاخرى ، وقالت :

ـ ان هذا الطريق سيفضى بنا الى الدار مباشرة . ولا وجه للقلق على السيارة لاننا نستطيع ان نرسل احد السائقين لاحضارها فيما بعد

وكانت كل كلمة وكل همسة تتردد لها اصداء بغير نهاية فى سكون الليل . فاثرا الصمت الى ان دخلا فى منطقة كثيرة الشجر فصاح فجاة :

ـ انظرى ، انظرى هناك !

ورات ضوء القمر يكشف عن جذع شجرة ميتة ملقى بحيث يسد طريقهما وكانه شبح . ولكن المنظر لم يكن فيه ما يبعث الخوف لان كل شىء فى ضوء القمر وتحت تلك السماء الصافية كان هادئا مانوسا

واقتربا من الشجرة . وعندئذ هتفت هى :

ـ عجبا . انها الشجرة العتيقة التى حفرت انا وبومى الحروف الاولى من اسمينا عليها ونحن طفلان !

ـ الم تكونى تدرين انها فى هذا الموضع ؟

ـ ان بومى احدث تغييرات كثيرة ، وقطع كثيرا من الاشجار منذ سنوات . فظننت هذه الشجرة بين الشجر الذى قطع وبيع

ووقفا امام الشجرة يفتشان عن مواقع تلك الحروف . فاكتشف كارول اولا الحروف الاولى من اسمها ثم حرفى ف.ل. فقالت له :

ـ اتقول ف.ل ؟ هذا فيليب لوفل . لقد نقش الحرفين بجوار حرفى اسمى ذات يوم عندما صعدنا الى هنا

ـــ عندما كنت فى العشرين ؟

ـــ نعم

ـــ ثم نسيت كل ما يتعلق بالموضوع ؟

ـــ كلا . ليس بالضبط . كل ما هناك انى بحاجة الى ما يذكرنى بهذا الماضى . والواقع اننى اتذكره الان بكل وضوح . لقد حدث هذا ذات صباح يوم ماطر من ايام الصيف وقد لذنا بهذه الاشجار لنحتمى من المطر

ـــ وهل كان هذا عندما كنت تحبينه ؟

ـــ ربما ... او قبيل ذلك . فالانسان لا يعرف دائما متى يبدأ بالضبط فى حب شخص ما ..

ـــ حقا ؟ اما انا فاعرف

ـــ انت ؟

ونظرت اليه غير مصدقة . فاجابها :

ـــ نعم . فقد عرفت اننى احبك فى الليلة الماضية عندما كنا ننظر معا فى اطلس الخرائط الملونة

ورات نور القمر ينعكس على عينيه . فلما فكرت فى جواب هبت الرياح الندية بين الشجر ، والقت تحت اقدامها بحفنة من الاوراق الجافة ... ان الامر كله يبدو غير معقول وسخيفا على نحو ما . ولكنه سخف ليس اشد من سخف القدر الذى ارسل اليها ... وها هى ذى تجد نفسها هادئة هدوءا غريبا وهى تقول له بعد برهة صمت غير مشحون بالتوتر :

ـــ يا كارول ... انك لا يمكن ان تعنى ما تقول

ـــ بل اعنيه

ـــ اتمنى على كل حال الا يكون ما قلته صحيحا . اتمنى ان تكون مندفعا مخدوعا

ـــ بل انى واثق يا مارجريت من انى احبك اكثر مما احببت اى انسان او اى شىء منذ ولدت !

ـــ اوه .. انى آسفة ... آسفة جدا

ـــ لماذا ؟

فهزت راسها وقالت :

ـ كلا . كلا ... لا ينبغى ان نتكلم فى هذا الموضوع وهيا بنـــا نسرع بالعودة الى البيت !

واجتازا المراعى ذات اللون الفضى التى تغمرها اشعة القمر ، ثم النهر ، ثم حدائق الزهور التى بدت كانها تستحم فى الاشعة الفضية ولم يتبادلا كلمة واحدة الا عندما كانت تشير بين الحين والحين الى هذه الشجرة أو تلك ، أو الى مجموعة من الزهور تعترض طريقهما كأن تقول :

ـ هذا الكريزانتيم قد نجحت زراعته جدا هذه السنة .. وهـذه البلوطات القرمزية التى تراها هناك تبدو متوهجة فى ضوء القمر .. انا لا استطيع ان اتذكر اسم هذه الزهور الزرقاء الجميلة ، ولكن بومى يستطيع ان يحدثك عنها طبعا ..

والحقيقة انها كانت تبذل جهدا كجهد اليائس فى تجاهل ما حدث بينهما من حديث ومن مكاشفة تجاهلا تاما . واخيرا عندما اقتربا من الدار التفتت نحوه وقالت :

ـ لا تظن يا كارول اننى تاذيت من كلامك على الاطلاق .. لاتجعل هذا يتبادر الى ذهنك .. ولكننا .. يجب ان نبقى اصدقاء على الدوام .. هل فهمت ما اعنى ؟

ورحل كارول تلك الليلة بعد العشاء مباشرة لانه يجب ان يصل الى المعسكر فى منتصف الليل . وكان هناك قطار مناسب له يغادر شلتنهام فى منتصف العاشرة فتولى السائق روجرز توصـــيله الى المحطة

الفصل العاشر

معركة العواطف

مر اسبوع باكمله قبل ان تصلها انباء منه . وكان ذلك الاسبوع حافلا بالاحداث العظيمة فى العالم كله . ففيه انهارت بلفاريا وسقطت الناصرة فى ايدى الجيوش البريطانية وهزم اللنبى الاتراك هزيمة ساحقة

وفى يوم الاحد وصلت برقية منه تقول انه سيأتى فى المساء وكانت مارجريت تتحدث الى أمها فقدمتها اليها بعد أن قرأتها بنفسها ، فأظهرت السيدة العجوز اغتباطا شديدا بنبأ حضور هذا الشاب اللطيف ، وقالت أنها ستنزل فى وقت العشاء لانها تحب أن ترى هذا الشاب :

ـــ انه من الطراز الذى كان ابوك حريا أن يحبه كثيرا !

ولكن مارجريت عجبت فى نفسها لماذا يجشم نفسه السفر ثلاثين ميلا لمجرد الزيارة والعودة فى نفس اليوم . وحدثتها نفسها انه تلقى الامر بالرحيل الى الميدان ، وان الدافع له الى الحضور هو توديعها . واعترضت صدرها غصة من قصص الخوف . الخوف من رؤياه والخوف من توديعه . فان ماكان بينهما من حديث ومكاشفة بين أشجار البلوط على تل ستاو ، قد جعل الامور بينهما تبدو لهـــا حرجة بعض الشىء

وكان وصوله قبل الوقت الذى توقعته بمدة طويلة . وكان أطفال ليلى قد جاءوا بعد الظهر فظلوا يتوسلون اليها أن تسمح لهم بلعبة الاستخفاء فى الحديقة . وبين صيحاتهم :

ـــ من فضلك ياخالة مارجريت !

اقبل كارول يهبط السلم بسرعة . وعلى الفور سكت الصياح

وجعل الاطفال جميعا ينظرون الى هذا الغريب ذى السحنة الصبيانية الذى يرتدى كسوة عسكرية غير مألوفة لهم ، ويشد على يد الخالة مارجريت بحرارة ويقول لها وهو يلهث :

ـ اعلم انى جئت مبكرا جدا ولكنى استعرت دراجة بخارية حتى لا انتظر القطار . وارجو الا اكون قد سببت ازعاجا !

ـ كلا بالطبع

وكانت تشعر بشىء من التوتر العصبى ، وتتساءل هل يشعر هو ايضا بذلك التغير الدقيق فى العلاقات بينهما . واستطردت بعد برهة :

ـ انك تبدو فى احسن صحة !

ـ وكذلك انت . والانباء التى فى الصحف اليست رائعة ؟

ـ الى حد ان الانسان لا يكاد يصدقها . واخشى انك ستصاب بشىء من خيبة الامل لان يومى ليس هنا . اذ اضطر للسفر مع بينج لتسوية بعض مسائل تتعلق بالاعمال

ـ لا حيلة فى هذا اذن . وانت هنا على كل حال . اليس كذلك ؟

ـ والآن اسمح لى ان اقدم لك ابناء اختى . بيتر وميكى وجون وبريان . بترتيب اعمارهم طبعا . وهذا يا اطفال مستر كارول القادم من امريكا

وسرها ان تراهم على الفور يستجيبون لسحر شخصيته ، فالتفوا حوله يفحصون كسوته العسكرية فى لهفة ممزوجة بالخجل ، الى ان قال بيتر وهو اكثرهم جراة واكبرهم سنا :

ـ ابى يقول انكم معشر الامريكيين دخلتم الحرب متاخرين جدا

وضحك كارول واخذ يداعبهم ويناقشهم ، فلم تمض دقائق الا وهو فى نظرهم بطل . وعندئذ سمحت لهم مارجريت ان يجروا ويلعبوا فى الحدائق

وقال كارول اذ ذاك :

ـ هؤلاء اطفال ليلى فيما اعتقد

ـ نعم وهناك طفل رضيع ايضا

ـ مجموعة لطيفة . ما اسعد ليلى وبينج بهم

ـ بينج يعبدهم وهم يعبدونه طبعا . ومن المؤسف انه يضطر للابتعاد عن البيت كثيرا من الاحيان

وظلا يتجاذبان الحديث وهما يسيران فى الحدائق ويلتقيان بين حين وآخر بأحد الاطفال مختفيا عن امين اخوته . وبدات تسترد سجيتها فاحست بسرور لصحبته يغمرها بالدفء . فقد خامرتها الشكوك اثناء الاسبوع ، اما الآن فكأنما حدثت معجزة بدون هذه الشكوك ، وايقنت انه من الممكن بعد الذى حدث بينهما ان يكونا صديقين . وقال كارول فجاة :

ـ اظنك تدركين لماذا جئت ؟

ـ لكى تودعنا ؟

ـ نعم . فسوف نرحل غدا

ـ الى فرنسا ؟

ـ نعم

ـ هل تظن انك ... ستشترك ... فى القتال ... سريعا ؟

ـ جائز جدا . فلا احد يدرى ماذا سيحدث !

ـ اظنك مستشار الاعصاب ؟

ـ بصورة هائلة

ـ بومى سيحزن لانه لم يرك قبل أن ترحل

ـ ليس لهذا اهمية حقيقية . فسوف اراه مرات كثيرة فى المستقبل على ما اتمنى

ـ نعم . هذا طبيعى

ـ وكذلك انت ؟

ـ طبعا ... الى متى ستبقى هذا المساء ؟

ـ المفروض اننى سأعود قبل منتصف الليل . وطريق العودة لا يستغرق بالدراجة البخارية ساعة

ـ عظيم . اذن تستطيع أن تبقى للعشاء وتعزف على البيانو بعد ذلك

وكان رائعا جدا ان يستطيع كلاهما الكلام بصورة عادية ، كأنما حادثة اشجار البلوط لم تقع اطلاقا . فهاهما ذان كأى صديقين قديمين حميمين . وعندما أقبل الاطفال تحدوهم المربية للتحية

قبل الرحيل ، شعرت بفخر عظيم لما رأته يصافح بيتر وميسكى وبريان ويقبل جون . وكاد فرحها به يعجزها عن الكلام

وبعد ذلك دخلا الى البيت لتناول الشاى . وكانت النار قد اشعلت فى مدفأة حجرة الطعام ، فجلسا فى مقعدين وثيرين على جانبى المدفأة واستمرا فى حديث لا ينقطع . وقالت مارجريت :

ـ ستنزل امى للعشاء كى تراك خصيصا

ـ حقا ؟ انى اقدر هذه المجاملة كل التقدير ، فهى سيدة رائعة !

ـ لشد ماتحب ان تسمع هذا منك

ـ حقا ؟ اذن سأقول لها ذلك متى سنحت لى فرصة . كم عمرها ؟

ـ خمس وسبعون سنة

ـ قال لى يومى ان بصرها وسمعها فى احسن حال

ـ نعم . فهى تستطيع ان تقوم بكل شىء فيما عدا المشى . وقد عجزت عن المشى منذ اكثر من ثلاثين سنة

ـ ياله من عمر مديد ! وكيف حدث ذلك اصلا ؟ أهو نتيجة حادث ؟

ـ نعم . نتيجة نوع من الحوادث

ـ ومع هذا يعتقد الناظر اليها الآن انها نعمت بأسعد حياة فى العالم !

ـ لعلها تعتقد انها سعدت فى حياتها . وهذا الطف شعور يحس به الانسان حين يكون فى الخامسة والسبعين

وتجمعت ظلمة الغسق حولهما وهو جالس أمامها مشبوك اليدين بين ركبتيه ، ووهج النار ينعكس على وجهه فيبدو حديث السن ، يتدفق عافية وقوة . وظلا يثرثران بلا هدف الى ان صار من الضرورى أن تتركه لتساعد أمها على ارتداء ثيابها تاهبا للعشاء

وكان العشاء نفسه ناجحا جدا ونزلت السيدة العجوز فى ثيابها الحريرية السوداء ذات الخفيف ودفعوا مقعدها الى مكان قريب من النار بجوار كارول . وظل الاثنان طوال المدة التى استغرقها الطعام يتحدثان فى مودة ظاهرة تكاد تصل الى تبادل الغزل ، وطلبت مارجريت من الساقى كوكسون أن يأتى بزجاجة من أفخر أنواع

الشمبانيا . وشرب كل واحد منهم نخب الآخرين . وضحكوا جميعا من قلوبهم . وبعد العشاء بدأت مسز فرينشام تهوم للنوم ، فدعى كوكسون كي يصعد بها الى حجرتها . ووضع كارول يده فى يدها المتفضنة وقال لها :

ـ أتمشم أن التقى بك ثانية ياسيدتى . فأنا ذاهب الى فرنسا غدا

ـ فرنسا ؟ لقد ذهبت الى فرنسا ذات مرة ... اوه ؟ اتعنى انك ذاهب الى الحرب ؟

ـ نعم الى الحرب

ـ اذاهب انت لمقاتلة الالمان ؟

ـ ان وقع نظرى على احد منهم

ـ تمنياتى الطيبة ياعزيزى ... يجب ان تاتى ثانية . فيما بعد ... حفلة كبيرة ... بومى وبينج ... وداعا . يجب أن اذهب الى فراشى !

وبدا كوكسون يدفع المقعد . فقالت مارجريت :

ـ عن اذنك يا كارول . ساصعد واشرف على راحتها

وكانت مارجريت تبتسم عندما عادت لتقول له :

ـ لقد تركتها غارقة فى النوم . خادمتى هى التى تغير لها ثيابها وترقدها فى الفراش ، ولكنى احب دائما ان اكون موجودة . . الخامسة والسبعون ! ياله من عمر ! وهى مع هذا فى صحة جيدة جدا بالنسبة لسنها ...

واقبل كوكسون يحمل اقداح القهوة وشرابا معتقا من انتاج سنة ١٨٣٤ ، لان مارجريت كانت مصممة على أن تحتفل احتفالا خاصا بليلة الوداع هذه . وانتقلا الى حجرة الاستقبال حيث كانت النيران تتراقص فى المدفاة فقال :

ـ لا تشعلى الانوار لانى احب العزف على ضوء النار . واتجه على الفور الى المعزف ، وشرع يؤدى الحانا صغيرة هينة لم تكن قد سمعتها من قبل . وكان عزفه جميلا كالعادة . ولكنه فى هذه المرة كان اجمل وارق . ولعل هذا الجمال كان فى اذنيها اكثر مما كان فى عزفه ... وجلست مارجريت بجانب المدفاة تصغى وتصغى الى ان

امتلأت الحجرة بأطياف السحر المتراقصة أمام عينيها ... وكانت طوال الوقت تتخيله راقدا فى الخنادق وقد جرحت يداه ، تلكما اليدان اللتان يتمثل فيهما كل شبابه ونضرته . وشعرت على الفور بعجزها وضعف حيلتها ازاء هذه الصورة المروعة . فهاهوذا ذاهب الى مصيره المجهول . وهاهى ذى عاجزة عن منعه

وابتسمت نصف ابتسامة عندما انتهى من العزف ، واقبل نحوها وركع امام النار لتدفئة يديه . فسألته :

ـ هل انت مقرور ؟

ـ نعم . جدا ... ويجب ان اقول لك شيئا سواء احببت ذلك ام لا . لقد ظننت فى البداية انى مستطيع ان امضى من غير ان اصارحك به . ولكنى ارى الان انى لا استطيع ذلك . لان الكتمان سيؤلمنى الما يفوق طاقة احتمالى ... يامارجريت . يجب ان تعلمى . لانى اريدك ان تعرفى بالضبط ماذا اعنى ... انى احبك يامارجريت . وسواء كان هذا سخيفا فى نظرك او غير سخيف ، فانا اعلم علم اليقين انى لن احب احدا سواك

وتلاشت جميع خططها وقراراتها فى هذه اللحظة وتركتها فريسة لرغبتها وحدها . واحست بشلل يصيبه ارادتها حتى عجزت عن القيام باى شىء ماعدا شيئا واحدا ، هو الانحناء بوجهها الى مستوى وجهه وهو راكع على الارض

وبعد قبلتهما الاولى المحرقة غمغم يقول لها :

ـ لا حيلة لى فى هذا ...

فاجابته بمثل همسه :

ـ ولا انا يادرول ياحبيبى ...

وخيل اليها عندئذ ان سحب الحرب الداكنة اخذت تدنو من الارض فجأة حتى لامستها . وعلمت اخيرا علم اليقين انها تحبه

ان الحرب هى التى جمعتهما وهو على حافة الحياة وهى فى قرار الحياة بكل غناه وعنف انفعاله . والحرب ايضا هى التى ترشك ان تفرق بينهما ...

وقال لها بصوت اجش :

ـ عندما اعود ، فيما بعد ... اريد ان اتزوجك

ـ تتزوجني انا ؟

ولكنها علمت عندئذ انها تريد أن تتزوجه اكثر ممـــا ارادت ان تتزوج اى انسان آخر فى حياتها . بل اكثر مما تمنت اى شيء فى عمرها كله ...

ـ ولكن ياكارول ... انك لا يمكن أن تعنى هذا !

ـ ولم لا

نعم ولم لا ؟ هناك عشرات من الاسباب . انها واثقة من هذا . ولذا قالت له بعد برهة صمت :

ـ ياكارول . لا ينبغى ان نكون سخيفين فى تفكيرنا . تذكـر ياكارول كم تبلغ سنى !

ـ ان سنك لا اهمية لها عندى مطلقا . انا لا افكر فيها قط . ان كل ما افكر فيه هو انت . انت فقط . شخصك . وانا اعنى هذا بحذافيره . وما كان ليغير من رايى ان تكون سنك مائة سنة !

فقالت باسمة :

ـ ان الموقف كان يبدو اقل سوءا لو كانت سنى مائة سنة . لانك فى هذه الحالة ستكون فى الثمانين . أما الآن فيجب أن تدرك وجـه الاستحالة ياكارول . ان الناس سيظنوننا مجانين

ـ اتقولين مجانين ؟ وهل يمكن مهما حاولنا ان تكون اشد جنونا من العالم كما يبدو فى لحظته الراهنة ؟

ـ ولكننا ينبغى الا نكون مجانين على الاطلاق !

ـ ولم لا . انا لا ابالى يامارجريت . ولم ابال فى يوم من الايام بما يظنه الناس بى . ولا اعتقد انك فى قرارة نفسك تبالين برأى الناس فيك ايضا

فهزت راسها وقالت :

ـ بل انى ابالى ياكارول . وستبالى انت ايضا عندما تبلغ من العمر مابلغت انا

ـ ربما لم اعش حتى اكون فى مثل سنك

وكان هذا صحيحا . ولذا ارتجفت شفتاها وهى تجيبه :

ـ فكر قليلا ياكارول ... انك عندما ... او اذا ... صرت فى سنى ... ساكون انا ... فى الستين ! الستين ياكارول ! الست

تدرك مبلغ ما فى ذلك من الفظاعة ؟ لن ابالى ان يسخر الناس منى . ولكن الناس سيسخرون منك ايضا . وهذا مالا اعتقد انى احتمله

وكانت عيناه تومضان الآن بمثل النار التى تلظت بها شفتاه منذ قليل . وكان هذا كله عجيبا . حتى انها لم تكد تصدق انه واقع امام عينيها . لقد طلب يدها وهاهى ذى ترفضه ... وكل هذا غير معقول مثل تلك الحرب التى تزمع ان تأخذه منها لتلقى به بعيدا

وسألها بصوت حاد :

ـ هل هذا قرارك الاخير ؟ اوافقة انت انك لا تريدين ان تتزوجينى ؟

ـ انا واثقة انى لا استطيع ذلك ياكارول

ـ حتى ولو كنت مهتمة بى ... قليلا ؟

ـ ومن قال لك انى مهتمة بك ؟

وشعرت ان السؤال سخيف . فقد قرأ سخافته فى وجهها وقال وهو يقبض على ذراعيها ويحدق فى عينيها :

ـ بربك يامارجريت ...

وظل كل منهما يحدق فى عينى الآخر من غير ان يتكلم . وقد لفهما غموض غريب هائل ، اشترك فى خلقه الحب والحرب والشباب والسن . لغز غامض لاتستطيع الكلمات ان تجلو غياهبه ...

وهتف أخيرا هامسا :

ـ مارجريت ...

وابتسمت وهى تطل من فوقه وشعرت فجأة بفيض من القوة . ولكنها قوة هادئة مطمئنة لم يستطع اى حب آخر ان يمنحها اياها . قوة ليس فيها شىء من خداع أوهام الشباب . بل انها على العكس شعرت بعمرها كما لم تشعر به من قبل ... وكأن السماوات وشاح تتدثر به فيمنحها الامن والراحة

وأخذت تتخلل شعره بأصابعها وتتحدث اليه بحنان دافق وهدوء كامل

ـ كارول ياحبيبى . ينبغى الا نكون سخفاء مضحكين . ولقد كنا سخيفين فعلا ... ولا سيما انا ... ولا اعتقد انى استطيع ان

التزوج اى انسان . هذه حقيقة واقعة . فهناك يومى وهو كما ترى اعزب متمسك بعزوبته لا أمل فى اقلاعه عنها . وسيشعر بالضياع التام لو اننى تخليت عنه وفارقته ... اوه ! لا يمكننى ان احتمل التفكير فى هذا . وهناك ايضا أمى ... فلابد ان يرعى شئونها انسان ... وفضلا عن هذا لاشك فى انك ستعثر على فتاة فى مثل سنك يوما ما . كلا ... لا تعترض ... ان الحب الاول قلما يدوم ... تذكر حبى الاول ... لقد خيل الى يومئذ انى سأموت غما . ولكن هانذا الآن قد اوشكت أن انساه تماما !

ونهض واقفا وهو يضحك فتحطمت تعويذة السحر . واشعل سيجارة ، وقال لها وهو يذرع الحجرة ذهابا وايابا :

ـ اما انا فقد آمنت فعلا بسبب حبى الاول

وبصورة ما فارقته حداثة سنه ورنت ضحكته الغريبة الجافة فى أذنيها رنين الرجولة الكاملة . تاخمت انها مهما منحته فستكون مدينة له بذلك الشباب الغرير الذى جردته منه . كانت مستعدة أن تمنحه فى هذه اللحظة أى شىء على سبيل التعويض عن شبابه المسلوب . ولكنه لم يطلب شيئا . بل قال بعد لحظة صمت :

ـ يا الهى . انى اكاد لا اصدق انى وجدت الجراة على معاملتك على هذا النحو ... وانى لآسف جدا

ـ لا عليك . اعزف لى شيئا

ـ ان سمحت لى فلن اعزف شيئا . كل ما اصلح له الآن هو الصمت ، ولن افلح فى أداء نغم مستقيم . وربما كان الافضل لى الآن أن انصرف

ـ نحن بعيد العشاء . وامامك فسحة من الوقت

ـ لا اريد ان اتعرض لطوارىء الطريق بسبب السرعة !

ـ تناول كاسا على الاقل قبل ان تذهب

ـ لا باس بهذا . وشكرا لك

وذهبا الى حجرة الطعام فصبت له قدحا كبيرا من الويسكى . فقال لها وهو يتجرع كاسه دفعة واحدة :

ـ مع احسن التمنيات لمستقبلك

ـ ولك ايضا

ـ هل قلت ان يومى وبينج سيعودان غدا ؟
ـ نعم
ـ بلغيهما اطيب تمنياتى
ـ سافعل
ـ انى اتركك فى رعايتهما
فضحكت وقالت :
ـ احقا ؟
ـ نعم . ولاسيما فى رعاية بينج
ـ انا ... انا لا ادرى ماذا تعنى ؟
فقال وهو يضع كاسه :
ـ انى لم انس الطريقة التى كان ينظر بها اليك تلك الليلة ونحن على المائدة ... ولكن لا بأس . انه اهل لذلك ... اتسمحين لى ان آخذ هذا الثقاب لاشعل به مصابيحى ؟
فاومات براسها وتبعته الى الهو . وخيل اليها ان دهرا قد انقضى وهو يرتدى سترته الجلدية استعدادا لركوب الدراجة البخارية . وقالت له :
ـ ستكون الرحلة شديدة البرودة فى العراء
واجابها بلا اكتراث :
ـ لست ابالى . انا لا ابالى شيئا
ووقفت بجانبه امام الباب ريثما اشعل المصابيح واعد آلة الدراجة للعمل . فقال لها :
ـ اخشى ان تصابى ببرد
فاجابته فى اسى واجم :
ـ لست ابالى . انا لا ابالى شيئا ايضا
فنظر اليها وضحك ثم تصافحا . ولم يكن هناك قمر . وانما هى السماء الزرقاء الداكنة الصافية الاديم الموشاة بالنجوم . وقال كارول :
ـ وداعا يامارجريت !
ـ وداعا ياكارول !
وكان هذا كل شىء . وبعد ذلك انفجر هدير الدراجة البخارية

يهتك هدوء الليل ثم طواه الظلام فوق دراجته . وظلت هى واقفة حيث كانت الى ان اختفى عن ناظريها آخر بصيص لانوار الدراجة . ثم انتظرت بعد ذلك ايضا لانه خيل اليها ان صدى هدير الدراجة يتردد بين التلال . فكان لابد لها ان تتريث الى ان يتلاشى هـــذا الصدى . ثم عادت ادراجها الى الدار وهى تسعر باعياء شـــديد يستولى على سائر اطرافها

واتقضت عشرة ايام بعد رحيل كارول من غير ان تسمع عنه شيئا او تصلها رسائل منه . ولم تكن تتوقع أن يكتب اليها . فلم يكن ثمة اتفاق بينهما على شيء من ذلك . ولكن فى اليوم الحادى عشر جاءتها رسالة منه يخبرها فيها انه لم يشترك بعد فى قتال حقيقى، وان كان دوى المدافع يصل الى اذنيه . وان جميع الجنود فى جميع الجيوش المتحالفة يعتقدون ان الحرب ستضع اوزارها قريبا . وان صحته على خير مايرام . وانه يستمتع بالحياة « على نحو ما » ... وكان هذا كل مافى الرسالة لان نصف السطور على الاقل طمسته يد الرقيب الحربى

وعلى الفور كتبت اليه ردا عاديا وديا حافلا باللغط والثرثرة حشدت فيه جميع انباء الاسرة كما وردت على خاطرها :

ـ ... وقد اسف يومى اسفا شديدا لانه لم يتمكن من مقابلتك قبل ان تسافر . وقد طلب منى ان ابلغك اطيب تمنياته . هل هناك اى شيء تحتاج اليه او اى شيء تحب ان نرسله اليك ؟ ان ذلك خليق ان يدخل السرور العظيم على انفسنا ... فنحن نشعر بالوحدة هنا كما هى العادة عند اقتراب الخريف . ولكن لدينا اعمالا كثيرة . وسيأتى بينج وليلى للعشاء فى الاسبوع القادم ... وهذا معناه مجهود اضافى للطاهية ولى ... وابن اختى بيتر الذى قابلته فى المرة الاخيرة عندما كنت فى زيارتنا دخل المدرسة ، ويبدو سعيدا جدا بذلك ... وامى حالتها كما هى وقد طلبت منى ان ابلغك تحياتها ..

وقضت مارجريت طيلة بعد الظهر بعد ارسال ذلك الخطـــاب فى مساعدة الطاهية بالمطبخ . وبعد الشاى ذهبت لتعد امها لاستقبال

بينج . واستقباله يسرها دائما . وكان موعد العشاء فى الثامنة . وقبل الثامنة بربع ساعة ذهبت الى حجرتها لترتدى ثيابها . وبينما هى تمشط شعرها حملت اليها الخادمة خطابا وصل فى تلك اللحظة . وعرفت خط كارول وقرأت الاختام العسكرية على المظروف فارتجف قلبها وهى تمزق الغلاف . ولكن اول عبارة وقعت عليها عيناهـــا كانت : « أنا بخير وسلام »

فكان لهذا الفعل اثر قوى حتى لقد كاد يغمى عليها فارتمت فوق الفراش مسلوبة القوة . وبعد قليل استطاعت أن تقرأ الرســـالة .

« عزيزتى مارجريت :

« هذه اول فرصة تسنح لى بالكتابة اليك منذ ايام ، وأنا بخير وسلام . ولكن الموضوع الذى ناقشناه فى مقابلتى الاخيرة لك لم يزل له تأثير قوى على نفسى ، ويسبب لى اضطرابا كثيرا . وقـــد خيل الى فى البداية أنى سأستطيع تناسيه . ولكنى لم أستطع . واشعر أن كل شىء هنا يتوقف على هذا الموضوع . وانى اعلم انه من الاجحاف الشديد بك أن اقول لك هذا الآن . ولكنها الحقيقة . فليتك تستطيعين على الاقل ان تمنحينى ولو نصف وعد . فانه سيمنحنى املا كافيا ، ويشعرنى ان الحياة ممكنة ... اعـلم انى أسأت عرض المسألة فى هذه السطور . ولكنى واثق انك ستقدرين الظروف التى اكتب فيها . وقد كانت لديك دائما قدرة فائقـــة على الفهم والتقدير . وربما لم تتح لى بعد هذا فرصة للكتابة اليك مدة طويلة من الزمن ... »

وتلت ذلك سطور شطبها الرقيب فلم يترك الا الامضاء

وخيل اليها انها لم تفهم شيئا من القراءة الاولى . ولاسيما لان الرسالة كلها مكتوبة بحبر بنفسجى وبخط سريع مضطرب

واعادت تلاوة الرسالة . وقبل ان تتمها سمعت رنين الجرس فى الطابق الاسفل يدعو الطاعمين الى المائدة

اذن قد وصل بينج وليلى !

ووضعت الرسالة فى درج مكتبها الصغير واغلقته بالمفتاح ، ثم اسرعت تتم تصفيف شعرها

الفصل الحادى عشر

مهرجان النصر

وعلى مائدة العشاء بدا كل شيء مهتزا غامضا فى عينيها ، فصار بينج ذاسحنة بشعة ،وكان صونهالمرتفع ،وضحكه المرتفع ،يسيطران على الحجرة . والى جواره جلس بومى بادى السعادة ولكنه متوتر الاعصاب شيئا ما ، ولذا لم يكن حديثه طلقا يسيرا كعادته ، وكانت أمها جالسة بجوار النار تحدق فى المائدة ، وعلى شفتيها ابتسامة ثابتة لا تتغير . وبين الحين والحين كان بينج يلتفت اليها فجأة ويسالها :

ـ اليس هذا رايك ايضا يا امى ؟

فقد كان ينادى حماته بهذا الاسم دائما ، وكانت عند سماع هذا السؤال تتصلب عضلاتها وملامحها كالقطة المتوجسة وتقول :

ـ نعم ٠٠ نعم يابينج ٠٠ انا متفقة معك فى الراى جدا يا بينج

وكانت ليلى جالسة بجوار مارجريت ومجوهراتها الثمينة الكثيرة تتلالا .لقد تخلى عنها جمال صباهاالان، لانبينج والاطفال استنزفوا حيويتها ونضارتها ، ومع هذا ظل بينج حنونا كريما على طريقته الخاصة . فهو لا ينفك يشترى لها الهدايا الباهظة الثمن . وكانت هديته الاخيرة لهاقلادة يزيد ثمنها على الف جنيه ،كانت ليلى مزهوة بها ، تريها لكل انسان وتطرى رقة زوجها وطيبة قلبه

وفى نهاية الوجبة قدمت الاشربة المسكرة ، فأومات الام كعادتها الى كوكسون كى يدفع مقعدها ، ولكن بومى قال :

ـ ابقى قليلا يا اماه !

وكان غريبا جدا ان يحدث منه هذا . وانتظر الى ان انصرف كوكسون ، ثم قال بعد أن صب لنفسه ولبينج كاسين من البورت

ـ الحقيقة ان لدى مسالة اريد ان افاتحكم فيها جميعا !

وكان وجههه محتقنا ،وهو يرفع الكاس الى شفتيه ويشربها جرعة واحدة حتى الثمالة . وقالت الام بصوتها الخفيض :

ـ نعم يا بومى ... نعم

فقال بصوت يكاد لا يسمع :

ـ كنت فى المدة الاخيرة افكر فى الزواج

وظهرت الدهشة على وجه بينج فمال الى الخلف فى مقعده بحركة احدثت صوتا مسموعا ، اما مارجريت فازداد احساسها بالهدوء وكانها صخرة تضطرب من حولها الامواج من كل الجهات . وقال بينج :

ـ اتمزح يا بومى ؟

ـ كلا . كلا . بل انا جاد كل الجد . لقد كنت افكر حقا فى هذا

وكان هذا آخر ماكانت تتوقع ان تسمعه ،ولكنه فسر لها مالاحظته على اخيها فى المدة الاخيرة من الشرود ونوبات الضحك والمرح المتقطعة لقد كان الرجل عاشقا . وبدا لها هذا فى اول الامر أدعى للضحك . ولكنها احست وراء هذه الرغبة فى الضحك نوعا من القلق والشعور بالصدمة

ـ ولكنك يابومى يجب ان تحدثنا عنها . من هى اولا ؟

ـ لا اظنك تعرفينها يا اماه . اسمها مس بريدويت . وهى فى المستشفى العسكرى القريب من هنا

فصاح بينج :

ـ لا اظنك تعنى تلك الفتاة القصيرة البدينة التى تقوم بالتدليك فى المستشفى العسكرى ؟

ـ هى بعينها . وهذه هى المراة التى سانزوجها ... وقد خطر لى انه من الافضل ان اخبركم مجتمعين بهذا النبا

وافاق بينج من ذهوله فصاح :

ـ وماذا تنتظر منى الان ؟ ان اهنئك مثلا ؟

ـ هذا شىء مرجعه اليك

ـ ولكن الفتاة فى نحو العشرين فيما اظن ؟

ـ اعتقد انها فى الرابعة والعشرين

ـ واى شيء هى فيما عدا انها مدلكة ؟ من اين انت ؟ ما اسرتها ؟
ـ لا ادرى ما اسرتها ، وماهى اسرتك انت ؟

فجاء هذا السؤال اللاذع غريبا جدا على لسان بومى الذى لم يسمعه احد فى حياته كلها يقول كلمة مسيئة كهذه ، مما جعل بينج لا يكاد يصدق اذنيه ، وطغت دهشته على غضبه فقال :

ـ ماذا جرى لك ؟ يجب ان تدرك أن هذا الزواج غير مناسب

ـ يؤسفنى انه لا يسرك ، ولكنه سيتم وفى التاسع عشر من الشهر القادم يا بينج

ـ اتعنى انك تقدمت اليها وقبلتك وان كل شيء قد اتفق عليه ؟

ـ هذا هو الواقع

ـ اذن انت وربى أحمق الحمقى !

فكاد الدم يتفجر من ملامح وجه بومى، ثم هز كتفيه هزة يسيرة وقال :

ـ شكرا لك يا بينج

ـ فكر يا رجل فى عمريكما ! وفى طبقتكما أيضا • فسوف تكون لهذا اهميته الكبيرة ! ان معرفتى بالفتاة سطحية جدا وليس عندى اى شيء ضدها ، ولكنى لا استطيع ان أتصورها فى مكانها المناسب فى هذه الدار ! ستجعل من نفسك ايها الرجل اضحوكة للمقاطعة كلها الرجل الذى تزوج مدلكته ! وهذا ليس بينه وبين الزواج من طاهيته الا خطوة واحدة ! الا تدرى ما الذى تريد ان تصنعه بنفسك ؟ ام انت مفتون بها حتى انك لم تعد تبالى ما تصنع ؟

وكانت مارجريت منذ أعلن بومى النبأ ثابتة فى مكانها ، تحاول جهدها ان تتغلب على دهشتها ، وكانت أكبر بواعث هذه الدهشة ان بومى لم يطلعها على سره من قبل ، وانه تقدم لخطبة الفتاة واتفق معها على الزواج من غير أن يصدر عنه تلميح • وآلمها ذلك ، ولكنها فى الوقت نفسه كانت تسأل ضميرها اى حق لها فى ان يفضى اليها من اسراره باكثر مما تفضى اليه من أسرارها ؟ ولم تجد جوابا مقنعا عن سؤالها ، ولم يترك لها صوت بينج العالى فرصة للتفكير الهادىء، ولكنها وجدت نفسها تنهض وتدور حول المائدة حتى تصل الى مكان بومى . ووجدته يحملق فيها بدهشة يكاد يمازجها الخوف ، ثم

قالت له وهي تهش في وجهه :

ـ دعني يا بومي أكون أول من يتقدم اليك بالتهنئة . اني أهنئك باخلاص قلبي

وتناولت يده وابقتها في يديها برهة ، فوجدتها باردة كالرخام فالتفتت نحو بينج وقالت له وهي تواجه وجهه الضخم ، وعينيه الزرقاوين القويتين :

ـ اعتقد يابينج أنك تجاوزت الحد كثيرا . فلبومي الحق الكامل في ان يتزوج اية امراة يشاء . فلماذا تتدخل في شأنه الخاص ؟

فضحك بينج ، وقال :

ـ انا اعلم الناس يا عزيزتي مارجريت انك احصف من ان تقرى زواج بومي من هذه الفتاة . فلماذا تتظاهرين بغير ذلك ؟

ـ ليس من شاني ان اقر او اعترض ، وليس هذا من شـأنك ايضا . فلنا جميعا الحق في الزواج ممن نريد ، كما كان لك هـذا الحق عندما تزوجت من ليلى

ـ اذن انت تؤيدينه ؟

ـ نعم تأييدا مطلقا . اني اؤيده ايا كانت الفتاة التي يتزوجها . ولا ادرى كيف جرؤت على ان تكون وقحا الى هذا الحد معه !

ـ لقد اعربت له عن رايي الصريح يا مارجريت ، وهذا كل شيء وهاأنتذى تبدين لي الآن رايك الصريح فيء ولا اعتراض لي على هـذا

ـ انه لم يكن رايا صريحا . بل انك كنت كعادتك تفرض ارادتك ولن نخضع أنا وبومي لارادة أحد يابينج ، وكلما ادركت ذلك سريعا كان ذلك افضل لك !

فهز كتفيه الضخمتين وابتسم قائلا :

ـ وهو كذلك . هذا رايك انت . والآن ما هـو راى الآخـرين ؟ اليس لهم الحق ايضا في أن يقولوا شيئا ؟ ما رايك انت يا ليلى في هذا كله ؟

ونظر الى زوجته التي اجابت وكانها تلميذة تردد درسا محفوظا

ـ اني اوافقك يا بينج . واعتقد انه من السخف اقدام بومي على الزواج من فتاة كهذه !

ـ وانت يا امي . ما رايك ؟

ولكن السيدة العجوز كانت قد استغرقت فى النعاس . وهكذا كان شانها اذا حل موعد نومها مهما كانت المناقشة حامية ومثيرة . بل انها قد تنام فجاة وسط جملة من كلامها هى . فقال بومى :

ـ يحسن ان نجعل كوكسون ياخذها الى حجرتها

وكانت لحظات انتظار حضور كوكسون ثم دفعه المقعد كافية لتهدئة حدة التوتر . وتبينت مارجريت ذلك ، فقالت وهى تهم بالخروج :

ـ يجب ان اذهب لاطمئن على راحة امى . طابت ليلتكم

وتركت الجميع يتمون احتساء اشربتهم ، وبعد ان فرغت من عمليات الاشراف المعتادة كل ليلة ، دخلت حجرتها ، وطالعت خطاب كارول مرة اخرى . وتبينت ان صور الرجال الثلاثة كارول وبينج وبومى تراود ذهنها ، وتجوب انحاءه ، كأنهم نمور تذرع اقفاصها الحديدية . فقامت الى النافذة وفتحتها . وكان القمر قد صار بدرا ، والليل رطبا ساكنا

وفى نحو الساعة العاشرة طرق الباب بومى ودخل عليها متوهج الوجه بالدماء التى تكاد تطل من ملامحه . وفى عينيه بريق . وكان واضحا انه يعانى من التوتر العصبى ، ويتوق الى التفريج عن نفسه بالحديث معها ، ولم تكن هى اقل توترا منه . واشعل سيجارة وجلس بجانبها ، فقالت له :

ـ هل انصرف بينج وليلى ؟

ـ نعم

ـ اظنهما شعرا بوجوب الانصراف بعد الذى قلته لهما . ولكن كان ينبغى ان أوقف بينج عند حده . مع انى أكره هذه الاصطدامات

ـ لقد احسنت جدا بالوقوف الى جانبى يامارجريت

ـ هذا اقل ما افعله بعد كل هذه السنوات التى قضيناها معا

ـ وهذا ما اخجلنى . فقد شعرت بعد اعلان النبأ امام الجميع انه كان من الواجب ان اخبرك انت أولا

ـ هذا شىء لاقيمة له . فلا تعذب نفسك بسببه . واعلم ان كل ما يهمنى هو سعادتك . ولا يعنينى ماهى الترتيبات التى ستتخذها للزواج فالمهم ان تكون موفقا . واعلم انى كثيرا ما سألت نفسى لماذا

لم تتزوج !

ـ وانا ايضا كثيرا ما سالت نفسي هذا السؤال نفسه بشانك !

ـ انا يا بومي ؟ لو انني اردت ان اتزوج لتزوجت . وهذا من الاسباب التي جعلتني اقف في صفك . والان حدثني عن بولين

وشعرت كانها ام تشجع طفلها على الاعتراف بأسراره . فافضى اليها بمعلومات قليلة بعد استدراج كثير . قال لها ان بولين فتاة من لندن يتيمة الابوين . وان والدها كان مستخدما في شركة التامين وان الاسرة محترمة ، ولكنها ليست على مستوى اجتماعي بالطبع

ـ اني واثقة انها ظريفة والا لما جذبتك اليها !

ـ نعم هي ظريفة . وان كان هذا لا يبدو لكل انسان طبعا . لقد قال عنها بينج انها بدينة ولكني لا اظنها بدينة ، وان كانت طبعا ليست في نحافة ليلى

ـ هل هي مغرمة بالموسيقى ؟

ـ اظن هذا

ـ وهل تحب الحدائق ؟ سيكون لطيفا جدا ان تجمعكما هذه الهواية !

ـ اظنها تحب الحدائق ايضا

ـ اليست في الرابعة والعشرين كما قلت ؟

ـ بلى . وانا في الرابعة والاربعين . وهل لهذا اهمية ؟

ـ لا اظن . ما دام هناك تناسب بين الشخصين في كل شيء آخر

ـ اتعنين هذا حقا يا مارجريت ؟

ـ اعتقد هذا

ـ هذا جميل . وانت على حق . فما قيمة فارق السنوات ، وخصوصا حينما يكون الرجل هو الاكبر سنا ؟

ـ هل اني اذهب الى ابعد من هذا يا بومي ؟ واعتقد ان هذا الفارق لا اهمية له حتى حينما تكون المراة هي الاكبر سنا

ـ حقا ؟

ـ ولم لا ؟

ـ هل اذا كانت بولين في الرابعة والاربعين وانا في الرابعة والعشرين، الا يكون ذلك سخيفا ومضحكا ؟

ـ اتظن ذلك ؟

ـ الا ترين انت ذلك ؟

ـ ربما ... ربما

ـ اننا على اتفاق في جوهر الموضوع. وهو انك لاترينني اسن بكثير من ان اتزوجها !

ـ اني يابومي اعتقد ان البشر لا يمكن ان يكونوا اسن من ان يقدموا على اى شيء لديهم القدرة عليه والرغبة فيه

ـ عظيم

ـ واذا لم يكن لديك مانع . فانا احب ان ارى بولين متى يمكنني ان اراها ؟

ـ انت رائعة حقا يامارجريت . لم يخطر ببالى انك ستقابلين النبأ بهذه الروح . وسآتي ببولين معي غدا ان كان هـذا يوافقك . ومن المستحسن ان تأتي لتتناول الشاى ، لان لديها عملا فى المستشفى فى الصباح وفى المساء . سآتي بها بعد الظهر . ولكن لا تخبري امي . اذ يحسن ان تقابلها فى فرصة اخرى

وتركها بومي ليذهب كعادته كل ليلة الى الحديقة الشتوية وسمعته وهو يهبط الدرج يصفر بانغام لحن شاع فى المدة الاخيرة ، فادركت ان كلامها اسعده كثيرا . ثم طالعت رسالة كارول مرة بعد مرة الى ان اصبحت كل كلمة من كلماتها كائنا حيا يتعلق بها وهى جالسة وحدها فى حجرتها :

« لو انك فقط فتحت لى باب الامل ووعدتنى نصف وعد ... »

وفجاة شعرت انها لا تبالى مما سيقوله بينج او بومى او امها او العالم كله . نعم انها ستقدم على ذلك العمل الباسل الجميل الذى تشعر ان لديها القدرة عليه والرغبة فيه : ستتزوجه ! ستمنحه نفسها جسدا وعقلا وروحا . لن يمنيها بعد ذلك شيء . لان كل ما عدا هذا سيكون بمثابة خيانة للانوثة القصوى التى تشعر بها فى اعماقها

وعلى فرض انه سئمها يوما وقد علت بها السن وهو لم يزل فى ريعان شبابه ، فلن يضيرها ان تتركه يومئذ لامرأة اخرى ، وسيسعدها ان تعيش بجمال الفعل الجريء الذى واتتها الشجاعة على تحقيقه !!

وجلست فكتبت اليه رسالة قصيرة بسيطة ... تخبره فيها انها قد غيرت رايها وانها سوف تتزوجه . وذهبت بنفسها فالقت بالخطاب فى صندوق البريد خارج اسوار البيت . فلما فرغت من ذلك الامر الذى لا رجوع بعده ، احست بالسعادة تغمر قلبها وتفيض منه . لقد كانت هذه فرصتها الوحيدة . وقد واتتها الشجاعة على انتهازها !

ولما عادت الى البيت استقبلها يومى فى البهو وسالها :

ـ هل كنت تتنزهين ؟

فاومات اليه براسها . فقال :

ـ لقد افادك استنشاق الهواء فائدة هائلة . انظرى فى المرآة الى لون بشرتك . يالله من لون رائع ... والحقيقة اننا كلينا لا يبدو علينا سنا

وعقد ذراعه بذراعها واوقفها بجانبه امام مرآة وصاح :

ـ انظرى ! من ذا يقول اننا كلينا قد تجاوزنا الاربعين ؟ ولكننا تجاوزناها . ومع هذا لا اعتقد اننا كنا احسن صحة ولا انضر منظرا مما نحن الان !

□

وأتى يومى ببولين لتناول الشاى بعد ظهر اليوم التالى . وكانت كما قال بينج وكما انكر يومى بدينة قصيرة ، ولكنها وسيمة ، ولها صوت يدل على ثقافة وذكاء . ولغتها فى الحديث مهذبة راقية ، وشعرها جميل ، ويداها بديعتان للغاية . فشكلها العام ليس منفرا انها مقبولة ولكن ما الذى حمل يومى على التفكير فى الزواج منها ؟ هذا مالم تستطع مارجريت ان تتصوره

وكان الجو جميلا فاخذ الثلاثة يتنزهون بين خمائل الحديقة قبل تناول الشاى . وتحدثت بولين كثيرا عن العمل فى المستشفى . ولعل هذه كانت وسيلتها لاخفاء ارتباكها ، وكان يومى يتعمد ان يعامل بولين فى الظاهر كما يعامل اى انسان آخر ويصر على اخفاء اعزازه وحبه فبدا فى كلامه معها مهذبا مجاملا جدا كعادته مع جميع الناس . لم يرفع التكليف . اما هى فلم تستطع مارجريت ان تدرك حقيقة شعورها نحو يومى ، وهل قبلت الزواج منه عن حب ام طمعا

فى المال والمركز الاجتماعى . انها لا تبدو ذات دهاء . ولعلها قبلت الزواج منه لان احدا سواه لم يطلب يدها

وبعد الشاى انتهزت مارجريت فرصة توجه بومى لاعداد السيارة كى يقلها الى المستشفى ، وقالت لبولين :

ـ اقدم اليك التهنئة وآمل ان تكتب لكليكما السعادة

ـ اشكرك كثيرا جدا . واظننا سنسعد معا لانه انسان ظريف

ولم تسنح الفرصة لمزيد من الكلام بينهما ، لان بومى عاد ، وسأل مارجريت عن رايها فى بولين قبل ان يصحبها ، فقالت له :

ـ اكرر لك التهنئة . وهى فى الواقع جميلة . وما ابدع هاتين اليدين !

وبعد انصرافهما احست احساسا جازما ان بومى مهما كان لطيفا ظريفا فلن يستطيع فهم علاقتها بكارول . فلابد ان يفاجئه ذات يوم وهو بين ازهاره فى الحديقة ويعلنه برغبتهما فى الزواج . وكذلك سيواجهان معا بينج وجميع الناس : باعلان اشبه بانذار أخير منه باعتراف أو افضاء

وشهدت الايام الاخيرة من اكتوبر تحول الحرب الى طوفان من الانتصارات التى لا يكاد يصدقها العقل . فكانت اخبار النصر هى المسيطرة على الصحف والتليفون واحاديث المائدة . وكان بومى متحمسا جدا لهذه الانباء فجعله الحب والتحمس شديد الرضا عن نفسه ، وراضيا حتى عن بينج . وذات يوم قال لها وقد انقضى أسبوع على حفلة العشاء التى اعلن فيها رغبته فى الزواج :

ـ اتعلمين يا مارجريت ان بينج صار لطيفا معى جدا فى الايام الاخيرة ودعانا للذهاب الى بيته وتناول العشاء فى الاسبوع القادم . انت وانا وبولين ؟ واظنها طريقته الخاصة فى التلويح بغصن الزيتون

وكان كلامه عن بينج بلهجة التلميذ الذى يتحدث عن الناظر المرهوب المحترم . . !

واقيمت تلك المأدبة فى مساء ٣ نوفمبر . وفى ذلك اليوم نفسه وقعت النمسا الهدنة وسلمت تسليما كاملا . واحتل الطليان تريستا واقيم مجلس وطنى فى المجر . وتمرد البحارة الالمان فى كييل ، وتقدمت القوات الفرنسية والامريكية ثمانية اميال على طول الجبهة

الغريبة ، وفى نهاية السهرة ، بعد العودة الى البيت فى الساعات الاولى من الصباح ، قال بومى لمارجريت ان الليلة كانت رائعة

وظلت مارجريت فى انتظار خطاب من كارول وان كانت فى الظاهر تقاوم كل احساس بالتطلع أو القلق . لانها كانت تعلم ان الحرب تؤخر الخطابات . وان الاحداث الاخيرة تساعد على مزيد من التاخير ولذا لم تشعر بمرارة كبيرة عندما اقبل الاسبوع الثانى من نوفمبر ولم تصلها رسالة من كارول

وفى هذه الاثناء كانت الحرب تتجه اتجاها سريعا الى نهايتها المحتومة . وكان ذلك عسيرا التصديق على الناس الذين تعودوا استمرار المعارك وتعاقبها تلك السنوات الطويلة . لم يصدقوا ان الحرب يمكن ان تنتهى كما بدات فى لحظة معينة ، من ساعة معينة ، فى يوم معين !!

وفى ذلك اليوم المكفهر ، يوم الاثنين الحادى عشر من نوفمبر كانت مارجريت جالسة تحرر الشيكات لمصروفات البيت الشهرية ، عندما رن جرس التليفون ، وكان المتحدث بومى من مكاتب مصنع السيارات فى جلوسستر :

ـ هناك شائعة قوية عن احتمال توقيع هدنة فى الساعة الحادية عشرة من صباح اليوم . وقد تتمخض هذه الاشاعة عن لا شىء . ولكنى قدرت انك تحبين ان تعرفيها . والعمال هنا بسبب هذه الشائعة لايستطيعون العمل . وهذا طبيعى فيما اعتقد . قولى للسائق روجرز عندما يأتى لاحضارى ان يأتينى بعلبة سجائرى ، فقد تركتها على المنضدة فى حجرة نومى

وفى الحادية عشرة رن جرس التليفون مرة اخرى وسمعت صوت بومى مختلطا بصفارات المصنع وصياح مئات الناس :

ـ تم توقيع الهدنة يا مارجريت . اتسمعين صفاراتنا وهتاف العمال ؟ الجميع هنا يكاد يخرجهم الفرح عن صوابهم . سنغلق المصنع بقية اليوم . ارسلى روجرز فورا ليأتى بى

انتهت الحرب اذن . وغمرها شعور بطىء متمهل من السعادة . كان شعورا قويا بلغ من شدته انه سبب لها الما . لقد توقفت المدافع وانتهى خطر الغارات ولم يعد هناك خطر يتهدد كارول فى الجبهة .

انها تستطيع الان ان تشعر بما لم تشعر به من قبل بالعاطفة الصافية القوية التي تربطها به وكأنها كانت لا تجرؤ على حبه والحرب تهدد سعادتهما . فكأن تلك السعادة كانت محتبسة ، ثم افرج لها عنهما دفعة واحدة

ورن جرس التليفون مرة ثالثة ، وتحدثت بولين من المستشفى . وكانت شديدة الفرح والحماسة . كانت تتكلم كالمجنونة :

ـ أريد ان ارقص واقفز او امشي على يدي . اريد ان افعل اي شيء لقد كلمت بومي الان في المصنع ، وطلبت منه ان يأخذنا لقضاء السهرة في لندن الليلة ، فلابد انه ستكون ثمة احتفالات تستحق المشاهدة في الويست اند . فهل تأتين يامارجريت ؟

ـ اتريدينني حقا ان آتي ؟

ـ طبعا اينها البلهاء ! ثم ان بومي لن يذهب اذا لم تأت انت فاخلاقه لا تسمح له بالسهر مع خطيبته من غير حراسة ! وخصوصا اننا قد نسهر الى الصباح . . . استعدي على كل حال لان بومي يرى ان نذهب بعد الغداء مباشرة

وجاء بومي لتناول الغداء وأخذ يشرح لها مبررات تلك الرحلة ، وكأنه يعتذر عن شيء سخيف :

ـ انا لا اهضم المظاهرات والزحام . ولكن بولين مصممة على الاشتراك في افراح الليلة في لندن . ولاشك انه سيفرح قلبها ان ترى لندن متلألئة بأنوارها لاول مرة بعد الحرب . ويحسن ان تأمري كوكسون باعداد بعض الطعام لنحمله معنا . فقد لا نستطيع الليلة ان نحصل على طعام يستحق الذكر في زحام لندن . واعتقد اننا سنأخذ السيارة الليموزين الكبيرة ولا اظنك ضيقين بالذهاب معنا

ـ كلا على الاطلاق

وشرب بومي نصف زجاجة الشمبانيا ، ثم ذهب الى الحديقة ليتفقد ازهاره واشجاره . ودعا مارجريت للطواف معه ، ولكنها اعتذرت وصعدت الى حجرتها كي تبدل ثيابها . ثم نزلت الى قاعة الجلوس ، وقرأت احدى المجلات في انتظار عودته . واصدرت الى كوكسون تعليمات بشأن المشروبات التي يضعها في السيارة مع الطعام

وبعد لحظات رجع اليها كوكسون وفي يده بضعة خطابات وصلت لتوها . وكان احدها دعوة لحضور سوف خيرية راقصة . وكان هناك خطابان آخران يحويان فواتير من التجار . أما الخطاب الرابع فأدهشها في البداية لانه يحمل طابع بريد فرنسيا . وبخط يد لا تعرفه ولم تره من قبل وفضت الخطاب وقرأت منه

« عزيزتي مس فرينشام

« اكتب اليك هذا بتكليف من المسكين كارول ، لقد كان اعز أصدقائي . وكنا كلانا في غارة جوية .. وطلب مني اذا حدث له مكروه أن أكتب الى خطيبته لأخبرها أنه كان في قمة السادة بسبب الخطاب الذي وصله منها في الصباح قبل قيامنا بالغارة بساعة واحدة . وسلمني عنوانك . ولم يعد المسكين . ولذا فاني اكتب اليك لاقول أن وفاته كانت سريعة ولم يشعر بأدنى ألم ..

وليم ت . جيفرسون

والقت براسها على ظهر المقعد الذي كانت جالسة عليه . ومن بعيد جاءها صوت بولين وبوسي يناديانها كي يردبوا السيارة الى مهرجان النصر

الفصل الثانى عشر

صدام عنيف

اقبل بومى يخترق الحدائق فى بزة انيقة غاية الاناقة ، ودبوس ربطة عنقه الماسى يلمع فى ضوء الشمس . ورأته مارجريت من بعيد حينما غادر سيارته عند المنعطف وتقدم يمشى نحو الدار فى خطوات سريعة خفيفة ، والابتسام يفيض من وجهه وكأنه صورة اخرى من اشراق السماء فى ذلك اليوم الدافىء المشمس من ايام يولية

ولما اصبح على مسافة عشر خطوات منها خلع قبعته ، فعبث الهواء عبثا يسيرا بشعره . وهتفت مارجريت :

ـ اهلا بك يا بومى

ـ لقد خطر لى ان امر بك لاستفسر عن احوالك !

وكانت هذه عبارته التقليدية التى يبادرها بها كلما حضر

ـ هل كنت تجرب سيارتك الجديدة ؟

ـ نعم ! انها آخر طراز فاخر . وبها كل التحسينات . كيف حالك ؟

ـ على احسن حال . وانت كذلك فيما أرى

وكانت مارجريت تجمع ازهارا من الحديقة ، ازهارا حمراء فحملتها فى يدها واقترحت عليه التجول فى الحدائق . وهو الاقتراح الذى كانت تعرضه عليه فى كل زيارة فكان يقبله دائما فى تلهف . ويظل يسأل عن آخر انباء الازهار الجديدة

واثناء التجوال سألها :

ـ كيف حال الوالدة ؟

ـ كما هى ... وكيف حال بولين ؟

ـ على ما يرام . وهذا يذكرنى بانى وعدتها أن اعود لتناول الغداء

فى ساعة مبكرة ... والحقيقة يامارجريت انى اريد ايضا ان احدثك فى موضوع معين ...

ـ عن بولين ؟

ـ كلا . لقد سويت هذه الموضوعات . أو على الاقل تركنا الخوض فيها . كلا يا مارجريت . ليس حديث اليوم عن بولين . بل عن بينج ...

ـ بينج ؟

ـ نعم . ويحسن ان اكون صريحا معك . لانى ساكلمك فى موضوع وعدت بينج وعدا قاطعا الا أخبرك به . فهل ترين أن ذلك يجوز لى ؟

ـ عزيزى يومى . ياله من سؤال توجهه الى امراة لديها نصيب طبيعى من الفضول النسوى ! كيف يخطر لك ان جوابى سيكون لا ؟

فضحك واحمر وجهه قليلا ثم قال :

ـ الحقيقة ان الرجل على شفا انهيار عصبى فيما يلوح لى وان كان من الصعب التصديق بأن بينج يمكن أن يصاب بانهيار عصبى . ولكن أمتن الحبال لابد ان ينقطع اذا اشتد الضغط عليه . ولاشك فى أن بينج اكتنفت حياته بالمتاعب والمنغصات الضخمة فى الفترة الاخيرة . من سوء الاحوال التجارية الى الاضراب العام ... فضلا عن متاعب الاسرة

ـ هذا صحيح . وانى مسرورة لحصوله على لقب البارون . فهو فى الواقع يستحق ذلك

ـ وهذا اللقب أيضا اتعبه الحصول عليه . لان الكثيرين كانوا يحاربونه . حتى انه منذ شهر يئس تماما من صدور الانعام . ومنذ ايام افلت زمام اعصابه من يده وجعل يصيح فى المكتب ان الدنيا كلها تحاربه ، وان القدر يعاديه ، وان رجال الحكومة والعمال واولاده واسرته كلهم ضده . وخص بالاشارة ... خصك انت !

ـ انا ؟ هل قال انى ضده ايضا ؟ ولكنه على خطأ فى هذا !

ـ لقد اعتذر بعد ذلك ، واستخرج منى وعدا بألا اخبرك . ولكنى اعتقد ان هذه الفكرة راسخة فى اعماقه . وربما نشأت لديه من كونك لا تدعينه فى المدة الاخيرة الى غداء اوعشاء

ـ وانت ايضا لم تدعه مرة واحدة ؟

ـ وهو ايضا لم يدعنى الى بيته مطلقا

ـ وهل تذهب ان دعاك ؟

ـ غالبا لا . فانا لا استريح لتمضية الوقت معه . وليس هذا لانى لا احبه او لا احترمه او لا اعجب به ، بل لميله الى السيطرة بصورة لا تستريح اليها النفس

ـ وهذا شعورى . ولكنه مخطىء فى اعتقاده اننى احاربه . فمنذ وفاة ليلى وانا اتمنى ان اخف لمعونته . ولكنى لم اقدر انه بحاجة الى معونة . فهو فى العادة يضيق بكل من يبدى له انه عاجز عن القيام بكل شىء على احسن وجه

ـ هذا كله صحيح . فهذه طريقته وهذا طبعه . ولكن يخيل الى انه لو امكنك ان تفعلى شيئا يبين انك لست ضده كما يظن ، كان ذلك افضل

ـ وماذا تقترح فى هذا الشان ؟

ـ انا لا اريد ان تصنعى شيئا تكرهينه . ولا ان يكون تصرفك واضحا بحيث يدرك اننى فاتحتك فى الامر . مجرد لفتة . واعتقد ان الانعام عليه بلقب بارون يعتبر فرصة مناسبة لهذه اللفتة

ـ وكيف ذلك ؟

ـ تذكرين اننا كنا فى الخارج عندما صدر الانعام ، فلم يتح لنا الا ان نبعث اليه برسائل التهنئة . ونحن الان فى ارض الوطن . وفى دارنا . فربما كانت مأدبة عشاء صغيرة ...

ـ هنا ؟

ـ طبعا . فهذا هو اهم ما فى الموضوع . كى توجهى اليه الدعوة . وطبعا توجهينها لى ولبولين ايضا . وان كنت اتوقع منها الا تحضر

ـ سافكر فى الامر يا بومى ..

وبعد انصراف بومى ظلت معظم فترة الصباح تفكر . فتراءى لها ان الحظ قد تنكر له فى الفترة الاخيرة فعلا . وكانت البداية فشله فى الانتخابات ثم ماتت ليلى فى السنة التالية . وكانت وفاتها فجاة على اثر اصابة بالانفلونزا . واعقب ذلك اضراب عام بين عمال جميع المصانع . ثم اضراب عمال الفحم . ثم ارتفاع اسعار المطاط ، وكثير

من المواد الاولية ارتفاعا جعل بينج يشكو ويتذمر . ولولا الانعام عليه بلقب بارون لكانت حالته المعنوية فى منتهى السوء . وعن لهـا أن اقامة حفلة عشاء كما اقترح بومى ابتهاجا بحصول بينج على ذلك اللقب عمل يدل على المجاملة ، وينعش معنوياته

وفى المساء تحدثت الى بومى بالتليفون ثم أرسلت رقاع الدعوة الى مأدبة العشاء الصغيرة فى مساء التاسع عشر من الشهر . وكما توقع بومى اعتذرت بولين . لان حالتها النفسية بسبب الحمل لا تسمح لها بحضور مثل هذه المناسبات . وهى فى الوقت نفسه لم تكن يوما من الايام ودا لبينج او ليلى . ولكنها سمحت لبومى ان يتركها ويذهب . ومع هذا قال بومى انه لن يسهر طويلا

ووجهت الدعوة ايضا الى بيتر اكبر ابناء بينج الذى التحق بجامعة كمبردج ، اما اخوته فما زالوا اصغر من ان توجه اليهم الدعوة . وكم ادهش مارجريت نجاح تلك المأدبة الصغيرة . وكان بينج بادى الانشراح ، فاكثر من رواية الحكايات الطريفة والنكت اللاذعة . وكانت سنه الان خمسا وخمسين سنة،وقد اضفت عليه مزيدا من الجراة ، فاصبح صوته اعلى من ذى قبل ، وضحكته المجلجلة تهز الجدران . فكان من يراه ويسمعه يعتقد انه ابعد الناس من الانهيار العصبى . وكان ابنه بيتر لطيفا لبقا ، تبدو عليه معالم الشخصية القوية بعد ان امضى عاما فى الجامعة . وقد اصبح شابا نحيلا وسيما ازرق العينين ، متفوقا فى ملاعب الرياضة. ينم حديثه عن اطلاع واسع . فهو يتكلم بطلاقة عن فرويد وبروست وبيكاسو . وكان واضحا انه شديد التاثر بالنظريات الجديدة . ولم تكن لمارجريت دراية كبيرة بهذه المستحدثات فكانت تصغى لمايقول ابن أختها باهتمام واعجاب

وقطنت من نظرة عينيه كلما ذكر اسم ابيه ان العلاقة بين الاب والابن ليست منزهة عن الشوائب . بل انه صرح لمارجريت بقوله .

— ابى يريدنى ان انضم الى ادارة المصنع . ولكنى طبعا لن ارضخ لهذا . فانا أمقت هذا النوع من العمل ..

وفى الساعة العاشرة اصر بومى على الانصراف ، فقرر بينج ان ينصرف ايضا . وصعد الجميع لتقديم التحية الواجبة للوالدة

العجوز فى حجرة نومها . ووجدوا صعوبة فى تبادل الحديث معها لما طرأ عليها من ثقل السمع . ولكنها حرصت على تهنئة بينج بالرتبة ، وعلقت مارجريت على ذلك بقولها :

ـ ان الممرضة تقرأ لها جميع الصحف الصباحية والمسائية . رغم ما يكلفها ذلك من رفع الصوت ساعات طويلة

وفى البهو قال بومى :

ـ أليس رائعا ان تكون صحيحة الاعضاء حاضرة الذهن ، وهى فى هذه السن ... فى الخامسة والثمانين ؟

فحملق بينج فى وجهه لحظة ثم هز كتفيه وقال :

ـ اتسمى هذا شيئا رائعا ؟ اتمنى على الله الا اعيش حتى ابلغ هذه الروعة . اسأله متى امسيت عاجزا عن العمل المثمر مفتقرا الى القوة الكافية للانتصار ان يضع حدا لايامى !

وفى هذه اللحظة ادركت مارجريت ان الرجل يمر بمحنة نفسية حقيقية ، وان يكن قد استأنف بعد ذلك فرحه الصاخب كالمعتاد ، ولم ينس وهو يودع مارجريت ان يدعوها لرد الزيارة بعد ثمانى سنوات من الانقطاع

كان انقطاعا ولكنها لم تكن قطيعة . لان الاتصال المباشر او غير المباشر كان مستمرا عن طريق بومى . وكان بينج يكتب اليها أحيانا ليقدم اليها النصح فى مسائلها المالية التى يعرف عنها كل شىء . واليه يرجع الفضل فى مضاعفة ثروتها بعد الحرب مباشرة عن طريق البيع والشراء فى بورصة الاوراق المالية . وفعل مثل ذلك بثروة اخيها ووالدتها . فلم تدر ماذا يكون مصيرهم جميعا لولا جهوده وحصافته

وفى أواخر شهر اغسطس تلقت هى وبومى الدعوة لزيارته فى ضواحى جلوسستر بالقرب من المصنع . وكان بيته فخما تبدو عليه مظاهر النعمة الحديثة . وكان خدمه جميعا من الدرجة الثانية لان الممتازين لا يطيقون معاشرة رجل حاد الطبع مثل بينج . ولكنه كان يعلل ذلك بأن خدم هذه الايام جميعا من البلاشفة

وكان معظم حديثه على المائدة عن الاضرابات . وكان اضراب

عمال الفحم لم يزل قائما . وكانما شاء القدر أن يمعن فى اغاظتـه فجاءه الساقى يقول :

ـ تحت نوافذ البيت يا سيدى جمع كبير من المنشدين . انها فرقة جوالة تغنى وتجمع التبرعات لعمال الفحم المضربين

ـ يا للمنة ! قل لهم أن يذهبوا الى الجحيم ... بل انتظر ! قل لهم انى احب ان اقابل واحـدا منهم . واحـدا فقط . وعندما يختارونه جئنى به !

ولما خرج الساقى لتنفيذ هذا الامر قال لمارجريت ويومى :

ـ سترون الآن مشهدا طريفا . لانهم يعرفون من انا وسيختارون لمقابلتى اخطر بلشفى فيهم . وساعرف كيف اتعامل معه !

وبعد قليل دخل القاعة شاب نحيل اللون فى نحو الثلاثين من عمره وقبعته فى يده ، ويرتدى احدى بذلات العمـال الزرقاء . وحدق الغريب فى كئوس الشراب والاطباق التى تزخر بها المـائدة وفى الشمعدان الضخم . وبادره بينج بقوله وهو يضطجع فى مقعده ويعض على طرف السيجار الضخم :

ـ والآن ياسيدى ما المسألة ؟

ـ انت ارسلت فى طلبى

ـ ذلك لانى اريد أن القى عليك بضعة اسئلة . أولها من انت وماذا تفعل فى جلوسستر بحق الشيطان ؟

ـ انا من فرقة المنشدين لصالح عمال مناجم الفحم فى ويلز . ونحن نجمع التبرعات لزوجات واطفال العمال المضربين

ـ انك تبدو كما لو كنت لم تاكل شبعك منذ شهر !

ـ هذا صحيح فعلا

ـ الذنب فى هذا ذنبك . فلا يجوز ان تعيشوا من خير البـلاد من غير أن تؤدوا عملا

ـ ....

ـ هل انت جائع ؟

ـ نعم

ـ وسيزداد جوعك الى ان ينتهى الاضراب

ـ ....

ـ وهل جميع زملائك جياع ؟

وسر مارجريت أن ترى عيني الغريب تومضان كانهمـا جمرتان ويصيح :

ـ نعم كلنا جياع . ولكننا نفضل الهلاك جوعا على ان نقبـل فلسـا واحدا من ابن فاعلة مثلك !

وقبل ان تبدو آثار الدهشة لهذه الكلمة النابية على الحاضرين ، ترنح الشاب وسقط فوق مقعد مغشيا عليه . فأسرعوا جميعـا لنجدته وصب يومى فى فمه كاسا من البراندى . وأسرع بينج يفتح النوافذ . وبعد قليل افاق الشاب . فسأله بينج بخشونته المعتادة :

ـ كم عددكم ؟

ـ عشرون عازفا ومغنيا

ـ ادخلوا بعد نصف ساعة من الباب الخلفى وسـيقدم لكم الطاهى جميعا عشاء كاملا ايها البلاشفة الانجاس . ولا تحاول ان تجادل !

ولم يكن فى استطاعة الفتى ان يجادل لو انه اراد . وخرج معتمدا على ذراع الساقى

وساد التوتر جو القاعة بعد خروجه . وابدى يومى رغبـة فى الانصراف كى لا يترك بولين وحدها . ولم يبـد بينج الا الحاحا يسيرا جدا لاستبقاء الشقيقين

وفى السيارة اظهر الشقيقان امتعاضهما لسلوكه الفج السوقى :

ـ ايا كان لقبه فهو لا يمكن ان يكون جنتلمانا يا يومى !

ـ كلا ياسارجريت . لن يكون جنتلمانا ما عاش

وكان هذا كل تعليقهما على الموقف

□

وفى ذلك الصيف كان نظام حياة مارجريت رتيبا خاليا من أى تغير . فهى عادة تتناول فطورها فى الفراش ، ثم تغادره فى منتصف العاشرة فتنفض بريدها وتكتب بضع رسائل . ثم تصعد الى حجرة أمها فتقضى بها نحو ساعة . وتخرج من سيارتها ذات المقعدين مدة نصف ساعة ، وتعود لتناول الغداء ، ثم تخرج مرة اخرى بعـد الظهر للنزهة فى سيارتها المكشوفه وتتناول الشاى فى احدى البلاد

المجاورة ، ثم تعود لتناول العشاء . وقليلا ما كانت تدعو أحدا للعشاء ، لان بومى لا يستطيع قبول الدعوة من غير بولين وبولين لا تحبها ، وقد ايقنت من ذلك منذ عامين على اثر مشادة كلامية كشفت عن خفايا الصدور

وفى المدة الاخيرة صارحها بومى بأن بولين تبدى سخطها اذا فارقها وهى لا تستطيع الخروج بسبب الحمل . فأدركت مارجريت أن بولين تستغل هذا الظرف لتملى على زوجها ألا يزور شقيقته فى المساء . وهو فى الصباح مشغول غالبا فى العمل فى المصنع ، وزوجته لا تفتأ تتصل به تليفونيا لتتأكد من انه لم يذهب لزيارة مارجريت !

وكان تعليق مارجريت على ذلك انها ضحكت وقالت :

ـ كم بقى لها على الوضع يا بومى ؟

ـ ثلاثة أشهر

أراك !

وضحك الاثنان . لانه كان من المستحسن فى هذا الموقف أن يحملا الامر على محمل الهزل لا الجد

وفى هذه الفترة كان بينج غارقا الى اذنيه فى محاربة نقابات العمال . وكان يشعر بارهاق عصبى شديد سيسلمه الى الانهيار . ولم تفلح محاولة بومى لاقناعه بعدم جدوى هذه المعارك ضد النقابات . لان هؤلاء الناس انما يطالبون كأى انسان بمستوى معقول من الحياة . وأنهم لو وجدوا شيئا من حسن المعاملة لما جنحوا الى التمرد والاضراب . وفى هذه الحالة لن يجد المتطرفون مجالا صالحا لتهييج الخواطر

وذات صباح اختلس بومى زيارة قصيرة لها . واخبرها ان بينج قرر الدخول فى معركة الانتخابات النرعية فى دائرة ملفورد وشعاره « مناهضة الاشتراكية » .مع أنه من المعروف ان هذه الدائرة دائرة عمالية ، ولن تقوم أمامه اقل فرصة للنجاح . ولكنه فيما يظهر ينشد الاشتباك فى معركة حبا فى المعارك نفسه . وسيكون له فى هذه الانتخابات ما يريد من صدام خشن . ستثخنه الجراح من غير أن يفوز بشىء من غار النصر

الفصل الثالث عشر

الأب والابن

وقبل ان ينتصف شهر اكتوبر علمت مارجريت ان بينج يواجه مزيدا من المتاعب . فالمصادمات الليلية التى حدثت فى اجتماعاته الانتخابية بدائرة ملفورد ، والتى اتت على وصفها الصحف ، كانت تدل على انه يواجه فى تلك المعركة اعنف امتحان صادفه فى حياته

وكانت هناك محنة اشد من هذا لايعرفها عامة الناس . ومصدر هذه المحنة ابنه البكر بيتر الذى اثار سلوكه فى كمبردج سخط والده الشديد . ففى ذات يوم اتصل بومى بمارجريت فى الصباح تليفونيا وقال لها :

ـ لم استطع أن استخلص من بينج ما الذى ارتكبه الفتى بالضبط واعتقد انه اسرف فى الانفاق ، أو انحرف فى هذا الاتجاه أو ذاك . وبينج على كل حال ثائر ثورة لا يتصورها العقل لهذا السبب . لم يكن ينقصه الا هذا وهو يلاقى الامرين من المعركة الانتخابية الفرعية ومتاعب المصنع ...

. اتظن اننا نستطيع ان نمد يد العون ؟

ـ العون ؟ لمن منهما ؟

ـ لكليهما . او لاحدهما فهذا اعتبار ليست له اهمية كبيرة ان استطعنا ان نصلح ذات بينهما

ـ فى وسعك أن تحاولى ذلك ان شئت . اما انا فقد حاولت ولم تكن النتيجة مشجعة . لقد اقترحت عليه ان اسرع إلى كمبردج واتحدث الى الفتى بطريقة ودية . ولكن بينج قال ان مايحتاج اليه ذلك الفتى ليس الحديث الودى بل حبل المشنقة ... فاذا كان هذا

هو اتجاه تفكيره فاظن ...

نعم انها تستطيع ان تخمن معظم تصرفات بينج واتجاهات تفكيره. ولكن المسألة كانت ذات صبغة هامة بالنسبه لها رغم اجتهادها في ابعادها عن ذهنها ، باعتبارها مسألة لا تخصها . وظلت هذه المشكلة تلح في تفكيرها . يا لاسرة اختها الراحلة من اسرة عجيبة ! فهذا بيتر في الثامنة عشرة في الفرقة الاولى بالجامعة . وهذا ميكى في السابعة عشرة بالفرقة الاخيرة بالمدرسة الثانوية وهذه جون في السادسة عشرة رئيسة القسم الداخلى بمدرستها الراقية . وهذا بريان في الخامسة عشرة يحذو حذو ميكى خطوة بخطوة . وهذان هما افريل في العاشرة وروبرت في السابعة في مدرسة ابتدائية داخلية في شلتنهام . وكلهم اشبه ببينج منهم بليلى . فشخصياتهم جريئة وفيهم نصيب ضخم من غريزة النزال . وكانت ليلى في حياتها عاجزة تمام العجز عن سياسة امورهم ، ولذا نفضت يديها منهم في سنواتها الاخيرة ، وادخلتهم جملة في المدارس الداخلية . فهذه المتاعب التي يثيرها بيتر ربما لم تكن الا مناوشة اولية تسبق معركة طويلة بينه وبين الاسرة لابد في النهاية ان تنتهى بهزيمة بينج

وشعرت مارجريت مرة اخرى بشيء من الشفقة به ؛ فهي تعلم تمام العلم انه يخفي وراء مظهره العاصف الحاني تعلقا حقيقيا وحنانا على اطفاله . وانه انجب كل هذا العدد من الاطفال لانه يحب الاطفال ويريدهم

ولما شعرت مارجريت وهي تقود سيارتها نحو ملفورد ذات صباح من شهر اكتوبر بثقة غريبة تملأ جوانحها . وكان رايها قد استقر على مواجهته صراحة وسؤاله بلا مواربة عن موضوع بيتر . وادهشها انها لم تشعر بعد أن استقر رايها بادنى خوف منه

ووصلت الى ملفورد قبل الظهر وهي بلدة صناعية بالقرب من برمنجهام ، تزدحم بالمصانع وخطوط السكك الحديدية وبصفوف متشابهة من الاكواخ . وتعتبر قلعة من قلاع العمال الانتخابية . لان نائب البلدة كان دائما من ذلك الحزب ، فكان ترشيح بينج لنفسه هناك عملا من اعمال التحدى المقضى عليه بالفشل سلفا - وامام مقره الانتخابى رات لافتات ضخمة بحروف نارية « انتخبوا بينجلى

واخذلوا الحمر ! » .. وبعد قليل وجدت نفسها تواجهه برأسه الضخم وكتفيه العريضتين العاليتين وشعره القصير الاشهب ، فكانه خليط عجيب من لويد جورج وهندنبرج . كان يبدو قويا كالجبل الراسخ . بيد ان نظراته نمت عن ارهاق عصبى شديد . ولما خاطبها بدا صوته كالرعد الضعيف :

ـ مارجريت ؟ ما الذى جاء بك الى هنا ؟ هل كل شيء على مايرام؟ وبومى ؟ والوالدة ؟ وبولين ؟

ـ كلنا بخير . ولكنى فكرت فى الحضور لمقابلتك عندما سمعت ان هناك متاعب بخصوص بيتر . فخطر لى اننى ربما ...

فقاطعها بحدة قائلا :

ـ بيتر ؟ لا تشغلى نفسك به . اظنك كنت مفتوحة الاذنين لذلك اللغط الفارغ الذى يدور بصدده ؟

ـ قلت لك يابينج انه وصل الى علمى وجود مشكلة تتعلق به . وانه خطر لى انك ربما كنت مشغولا هنا فى الوقت الحاضر ولذا قد استطيع القيام بدور فى حل هذه المشكلة نيابة عنك

وثبتت نظراتها فى عينيه كأنها تتحداه أن يكون فظا . فقال برقة تخفى تهكمه :

ـ ولكن كيف بالله تظنين انك مستطيعة مد يد العون ؟

ـ بينى وبين بيتر صداقة قوية . انه صلب الراس كما اعلم ، ولكنى اظن ان لى بعض التاثير عليه

ـ اعظم من تاثيرى انا ؟

ـ الجواب نعم مادمت مصرا على السؤال

وتوقعت أن ينفجر بركان غضبه . وانتظرت ذلك الثوران بهدوء شديد . ولكنه سألها بكل هدوء :

ـ وهل تعرفين موضوع المشكلة ؟

ـ كلا

ـ اذن أنت تتكلمين على غير أساس . فلو عرفت الحقيقة لادركت انك لاتستطيعين شيئا

ـ اذن اخبرنى هذه الحقيقة

ـ يامزيزتى مارجريت ، انا لا اريد لك ولا لغيرك أن تتعبوا

انفسكم وتصدعوا رءوسكم بمسألة خصوصية تماما محصورة بيني وبين ابني . لقد كان فضلا منك ان تاتي وانا اقدر دوافعك . ولكنك في الواقع ضيعت وقتك . والآن تعالي نتغدى معا ان لم تكوني في عجلة من امرك

وفي هذه اللحظة دخل احد الموظفين وقال لبينج :

ـ موعد الاجتماع الانتخابي امام مصنع صهر الصلب بعد خمس دقائق ياسيدي . والسيارة معدة

ـ يا للشيطان ! لقد نسيت هذا تماما . ولكن لا بأس بهذا يامارجريت . تعالي معي وسننتهي من هذا الاجتماع بسرعة ونتغدى بعد ذلك

ـ ليكن

ونزلا الى الشارع وركبا معا سيارة فورد صغيرة مكشوفة ، اخترقت بهما شوارع وازقة ضيقة بين بيوت متداعية . وكان بينج يتحدث طول الوقت عن أوكار الشيوعية وعملاء البلاشفة والمهيجين المحترفين . ولكنها لم تكن ملقية اليه بالها معظم الوقت

وعندما وقف السائق بالسيارة امام مصنع الحديد الكبير بدات هتافات المصنع تشيدها المزعج . كانت لحظة انصراف العمال للغداء وتدفق المئات من الرجال والنساء من جميع انحاء المصنع . وفي مدى دقيقة واحدة كانت السيارة محاطة بجمهور صاخب لاغب . وبينج واقف ليلقي خطبته . ولكن جمهوره من العمال لم يظهر اي استعداد للاصغاء . فظل يشغب على الخطيب بالصفير والعواء والنهيق . فشعرت مارجريت بسخافة حضورها هذا المشهد . وان سخافة بينج كانت اشد حين دعاها للحضور . ومع ذلك شعرت بمتعة لخروجها من دوامة حياتها الرتيبة الى مثل ذلك المشهد المثير

وظل بينج يجأر ويصيح . فاستطاع بغض الاصرار والمثابرة ان يتغلب على الشغب . وظهرت على ملامحه الضخمة امارات الزهو والنشوة عندما تمكن من ارغامهم على الاستماع اليه . وكان الشرر الذي يتطاير من عينيه وهو يصب عباراته النارية بعد ذلك يجعل منه صورة رائعة لجواد عتيق من جياد الحرب استثارت كوامن

النزال فيه دقات الطبول ودوى الرصاص . وكانت عبارات نفسها تبدو هزيلة بالقياس الى صورة ملامحه وتعبير نظراته . كان اقوى مافيه ليس عقله ولا لسانه ، بل تلك الحيوية الطاغية التى شعر بها جمهور خصومه شعورا حسيا خفيا فانكمشوا متضائلين امامه جماعة ووجدانا

والقى خطبته كلها كلمة كلمة وحرفا حرفا . ولكن من غير طائل . لان تجريحه الشديد لخصومه وتنديده العنيف بهم حرى أن يكسبهم عطف السامعين . وعجبت مارجريت كيف يطمع فى كسب معركة انتخابية بهذه الوسائل ؟ ولماذا وهذه اسلحته يصر على خوض مثل تلك المعركة ؟

وشعرت مارجريت بالارتياح الشديد عندما بدأت السيارة تتجه بهما الى وسط المدينة . وفى خير فنادقها انتحيا ركنا لتناول الغداء وظل طول الوقت يكلمها بصوته المرتفع متفاخرا بآرائه . وكان واضحا انه مسرور بصحبتها . وصارحها بأن ثباتها بجواره فى ذلك الاجتماع الصاخب اثار دهشته واعجابه . ثم سألها عن رأيها فقالت ببساطة :

ـ ان موقفهم ليدهشنى . فلو كنت اعيش فى خرائب ملفورد مثلهم لاعتنقت آراءهم حتما

ـ هذا هراء يامارجريت . وان كنت اجد لك عذرا أكثر مما اجده لفتى تربى فى ارقى المدارس ، ودرج فى مهاد الترف والنعمة . تصورى ان ابنى يتصدى لخصومتى وينضم الى ناد للعمال فى كمبردج ويعمى شيوعيا !

ـ وهل هذه هى كل المشكلة ؟

ـ يا الهى ! وماذا تريدين المن من هذا

ـ لقد ظننت المسألة خطيرة حقا

ـ انها خطيرة بلا شك حين يكون هذا الفتى ابنى انا

فسألته باسمة وبكل بساطة :

ـ لماذا ؟

ـ اتقولين لماذا ؟ اليس الامر واضحا غاية الوضوح ؟ انظرى الى . الى مركزى . الى سمعتى . الى ...

ـ وكيف يمكن ان يؤثر سلوك بيتر فى هذا كله ؟

فحملق فى وجهها بعينين تتقدان كالجمر ، واخرج من حافظته قصاصة من قصاصات الصحف الشعبية . وكان عنوانها « الابن يخطب ضد ابيه ... موقف سياسى فريد فى ملفورد » وقرأت القصاصة :

« من بين الشخصيات التى تقرر قيامها بالقاء الخطب الانتخابية لصالح المرشح الاشتراكى فى معركة الانتخابات الفرعية بدائرة ملفورد ، المستر بيتر بينجلى ابن السير اوين بينجلى المرشح المناهض للاشتراكية فى هذه الدائرة عينها . وقد أثار هذا الموقف الفريد فضول جميع الناس فى الدائرة . فمستر بيتر بينجلى شاب دون العشرين من العمر وطالب بجامعة كمبردج »

ولما ردت اليه مارجريت القصاصة سألها :

ـ اترين هذا الموضوع تافها هينا ؟

ـ لعل فيه من الطرافة اكثر مما فيه من التفاهة !

ـ طرافة ؟ هانتذى ترين انى اقاتل ضد جميع الاعتبارات فى هذه المعركة . ثم ارى ابنى البكر يدخل المعركة ليقاتل فى صفوف أعدائى اتسمين هذا شيئا طريفا ؟

ـ سواء كان طريفا او غير طريف . فهذا شيء اصبح مألوفا فى ايامنا . فالبدعة الجديدة ان ينضم ابناء الاغنياء الى حزب العمال . انظر الى بلدوين !

ـ انى ادرك الآن كم اساء اليه انضمام ابنه الى الاشتراكيين !

ـ بالعكس ! لقد افاده هذا كثيرا لانه اثار اشفاق الناس عليه

وكانت هذه العبارة القشة التى قصمت ظهر البعير . فتقلصت ملامحه وصاح بها عبر المائدة :

ـ وهل تظنين انى ابتهج لشعور الناس نحوى بالشفقة ؟ انى استطيع ان اتحمل كل شيء فى الدنيا ماعدا هذا !

ولكنها كانت مشفقة عليه آسفة له . فمنذ بضع سنوات كان من المع الشخصيات فى انجلترا ، ولم يكن احد يتوقع له التعثر فى يوم من الايام . وهاهو ذا الآن يشعر بتألب جميع القوى والعناصر ضده ، قالت له وهى تنهض منصرفة :

ـ ربما قابلت بيتر قريبا بابينج
فاشار بيده اشارة ليس لها معنى معين وقال :
ـ وهل املك ان امنعك من رؤياه ؟

وبعد ثلاثة ايام رحلت الى كمبردج بالقطار . واستقبلها بيتر بسرور شديد قائلا :
ـ ما اعظم ابتهاجي بحضورك ياخالتي مارجريت . لاني كنت بحاجة ماسة للتحدث معك
ـ وانا كذلك . وهذا هو سبب حضوري
وفي حجرته التي تطل على الفناء الكبير لكلية الثالوث بادرها بقوله :
ـ اظنك تعلمين انني ساخطب في ملفورد ؟
ـ علمت هذا . ودهشت لانني لم اكن اعلم انك تهوى الخطابة
ـ لم اكن اهواها في البداية . ولكني جربتها في اجتماعات الاتحاد واظهر بعض الناس تقديرا لموقفي الخطابي
ـ ان الخطابة شيء جميل وموهبة عظيمة
ـ عندما يكون الانسان متفوقا فيها . ولكن اخشى ان اكون متحدثا من طراز عادي جدا
ـ التمرين كفيل برفع المستوى وتلافي الاخطاء . واظن اهل ملفورد وجهوا اليك الدعوة كي تلقي خطبتك هناك ؟
ـ نعم . فمرشح العمال له صديق في نادي العمال هنا . وكنت قد وعدته النادي بالمساعدة في اية معركة انتخابات فرعية . وكان هذا قبل ان اعلم ان والدي ينوي ترشيح نفسه في ملفورد . فلم يكن في وسعي التنصل من وعدي بخصوص مسألة عامة بسبب عائلي خاص
ـ بل يبدو لي ان ما تسميه سببا عائليا خاصا حري ان ينهض عذرا لو انك اردت الخروج من المازق حقا
ـ ربما . ولكني لم ارد ذلك !
فصمتت وجعلت تنظر الى وجهه الجاد . انه شديد الشبه بابيه . وهو مثله مقاتل مطبوع . وقالت له بعد حين :

ـ أعطنى سيجارة يابيتر

وللفور تلاشت الخدة من ملامحه وحلت محلها الدماثة والرقة وهو يقدم لها أنواعا مختلفة من اللفائف الامريكية والمصرية ثم قال لها :

ـ أنا لا اقدر رايا لاحد من افراد الاسرة مثل تقديرى لرايك . ولذا احب ان تصارحينى به

ـ هذا ما حضرت بسببه يابيتر سواء طلبت منى رايى أو لم تطلبه . وينبغى أن تعلم قبل كل شيء أننى لا ألومك على معتقداتك السياسية ايا كانت . فهذا من شانك وحدك . ولكنى اعتقد فى الوقت نفسه أن تصديك لمساعدة خصم ابيك فى الانتخابات بهذه الصورة الواضحة ليس خطأ بمعنى الكلمة ولكنه فساد ذوق . هذا هو رايى وارجو الا تضيق به

فاحمر وجهه احمرارا شديدا لان تهمة فساد الذوق لمست فيه وترا حساسا وقال :

ـ الحقيقة اننى كنت افكر فى تغيير موقفى لو لم يصلنى من والدى خطاب عاصف عنيف . ويكفينى أن اطلعك عليه

وقدم اليها اربع صفحات مكتوبة على الآلة الكاتبة على أوراق المصنع . وكانت العبارات مما لا يصدر عن رجل متزن . وناهيك باملائها على سكرتيره . فما اعنف ما تضمنته من الشتائم والتهديدات لان بيتر انضم الى ناد لا يرضى بينج عن لونه السياسى . فلما فرغت من تلاوة الخطاب سألها بيتر :

ـ اتلومينني الآن ؟

ـ لا الومك اطلاقا

وحضر الغداء الذى أوصى به بيتر ومعه زجاجة من الشمبانيا المثلجة . وانصرفا لتناوله وكان الحديث على المائدة فى موضوعات عادية . ولكن مارجريت فاجأته فى نهاية الطعام بقولها :

ـ ان هذا الخطاب يابيتر يبدو غير معقول اطلاقا . غير معقول بحيث لا يمكن أن نحاسب عليه كاتبه . لانه يدل على أن الكاتب لم يكن مالكا زمام نفسه . وينبغى أن تعلم وتدرك ان الارهاق فى العمل قد يؤدى بالانسان الى الانهيار العصبى

ـ وهل تظنين أن رجلا مهددا بانهيار عصبى يخوض معركة

انتخابات فرعية معادية بهذه الصورة ؟

ـ لا يقدم على هذا ايضا رجل يملك زمام نفسه

ـ ان والدى رجل عنيد يحب التحدى . كنا ونحن اطفال نراه يلغى ارادة امى ، ويفرض رايه عليها بلا هوادة . وكانت هى تتحمل منه هذا . اما نحن اولاده فلن نتحمله

ـ انه يحبك كثيرا يابيتر . بل يحبكم كلكم

ـ ولكن طريقة المعاملة اهم لدينا من الحب

ـ انه يعامل جميع الناس بهذا الشكل . هذا طبعه ولا حيلة له فيه

ـ ونحن لا حيلة لنا فى العجز عن احتماله . انه يعاملنا معاملة احط من معاملة الخدم . ولا تحاولى الدفاع عنه فهو من القوة بحيث يتحمل نتيجة اخطائه

ـ انا لا ادافع عنه وانما اريد ان اذكرك باشياء معينة . اولها انه تعرض فى المدة الاخيرة لقلق نفسى شديد ،

ـ ان كنت تعنين متاعبه فى العمل والسياسة فأنا اعتقد انه جلب تلك المتاعب على نفسه . فهو ميال للتحدى من غير روية ، شديد التجنى على خصومه فى الراى . فلا يلومن الا نفسه لتألب الناس عليه

ـ انى اعرف هذا ولكن المتاعب هى المتاعب على كل حال . ومن متاعبه مالم يكن له فيه يد . مثل وفاة والدتك

فاربد وجهه وقال بجفاء :

ـ هذا موضوع لم اكن احب الخوض فيه حتى لا اقول قولا جارحا . فالحقيقة التى نعرفها جميعا فى بيتنا انه لو لم تنجب امى هذه الشرذمة كلها من الاطفال لما عوجلت وهى بعد فى هذه السن الصغيرة !

ـ وهذا هو رايى ايضا يابيتر !

وادهشه هدوؤها فصاح :

ـ الا ترين ان هذا شىء فظيع ؟

ـ فظيع جدا

ـ الا يدفعك هذا لكراهية ابى ؟

ـ كلا . فانا احب الاطفال جدا فلا املك ان اكره احدا لمحبتـه اياهم ورغبته فيهم

ـ اما انا فارى هذا شيئا مغثيا للنفس

ـ لقد كانت وفاتها صدمة له على كل حال

ـ هذا بفرض انه كان يهتم بامرها حقا . ولو انه كان متعلقا بها لما ترك حياتها تذوى وهو متعمد ، فى سبيل ارضاء نزعته للابوة الكثيرة العدد

ـ انك مجادل بارع يابيتر ولكنك لن تصل الى اقناعى . والذى لاشك فيه ان والدك يواجه منذ انتهاء الحرب مشكلات كثيرة . . .

ـ اعلم هذا . واعتقد انه يتحسر على سنوات الحرب باعتبـارها العصر الذهبى لامثاله من الرأسماليين الذين استفادوا منهـا ولم يشتركوا فى القتال

ـ انك شديد القسوة يابيتر على ابيك وتصوره فى صورة وحش لا قلب له

ـ ليس بالضبط انه ليس بلا قلب ، بل آفته انه بلا خيال . فلم يستطع ان يتصور ويلات الحرب وظنها نوعا من التنافس الرياضى او المعارك الانتخابية . وانا حين اراجع تاريخ الاسرة فى الحرب اشعر بالخجل . فلم يشترك احد افرادها فى المعارك ولكننا جميعا اثرينا من صنع محركات الطائرات والسيارات للاغراض الحربية . ولم نشعر احد من افراد اسرتنا جميعا بلحظة قلق شخصى او اسف او الم

ـ بل كان منا من عانى هذا يابيتر

ـ من اذن ؟

ـ انا

ـ انت ؟

فقالت له بكل هدوء :

ـ لقد كان لى صديق من اعز من عرفت من الناس واحبهم الى قلبى . وقد لقى هذا الصديق حتفه فى الميدان قبل الهدنة بخمسة

ايام ، وكان فتى امريكيا لم يجاوز الثانية والعشرين من عمره وقد التقيت انت به ذات مرة

فاختفت امارات العداء من وجهه وقال برنة ندم :

ـ انى آسف جدا ... لم تكن لدى ادنى فكرة ... ارجو ان تصفحى عنى . فانا لم اقصد ايذاء شعورك ... والحقيقة اننى حين اتحمس لفكرتى تخرج من فمى ابشع الاقوال

ـ نعم . مثل ابيك تماما ...

وطفرت الدموع الى عينيها ومدت يدها عبر المائدة وربتت على يده :

ـ لا بأس يابيتر . لست غاضبة . بل واعتقد أن فيما قلتـه الكثير من الصواب . فنحن فعلا اثرينا بسبب الحرب . ولم نتالم كثيرا اذا قيس ذلك بما عاناه سوانا . ولكن لم تكن لنا فى ذلك حيلة . لان الثراء والآلام كانت مصائرها كلها فى ايد غير ايدينا ... والان هل نخرج لنتمشى قليلا ؟

وتقبل اقتراحها بسرور ، وخرجا معا الى الحدائق المحيطـة بالجامعة . وكان البرد شـديدا . وكان عارى الرأس لا يرتدى معطفا . ولكنه كان يشع قوة وحيوية . فلم يفتها أن تدرك شبهه فى هذا ايضا بابيه . انه مثل ابيه فى كل شىء : فى تغير المزاج من النقيض الى النقيض ، وفى الاندفاع العنيف كالاعصار ، ثم النـدم والصفاء والرقة بعد انتهاء العاصفة النارية . ولذا رات فى العداء بين الاب والابن وفى الكراهية بينهما مدعاة للسخرية ومفـارقة قوية

وفى بعض الطريق قال لها :

ـ اظننى اذكر ذلك الامريكى الذى تتحدثين عنه . لقد احببته . واذكر انى القيت عليه اسئلة كثيرة عن الجيش الامريكى

وتناولا الشاى فى مقهى . ولم يتحدثا عن مسألة العلاقات بينه وبين ابيه كثيرا او قليلا . ولكن على رصيف المحطة . وقد اوشك القطار ان يتحرك بها قال لها فجاة :

ـ سالغى رحلتى الى ملفورد . لن القى تلك الخطبة

ـ انى سعيدة بهذا يابيتر وشكرا لك على ضيافتك

ـ أرجو ان تكرري الزيارة !

ـ سافعل . وداعا !

وعندما وصلت الى دارها ، كتبت رسالة قصيرة الى بينج تخبره برحلتها الى كمبردج ، وأن بيتر سوف لا يشترك فى الحمـــلة الانتخابية

الفصل الرابع عشر

بعد المعركة

اسفرت المعركة الانتخابية الفرعية فى ملفورد عن خذلان بينج بخمسة آلاف صوت ضد اربعة عشر ألفا فاز بها خصمه العمالى الاشتراكى . وفى اليوم التالى اذيع رسميا أن مؤسسة لوفل فرينشام سوف لا تدفع ارباحا للمساهمين تلك السنة . ولم تدهش مارجريت لاى من النبأين ولكن بومى ارسل اليها بعد يومين مذكرة قصيرة عن اعمال الشركة قال فيها :

« ان العذر الرسمى لسوء الميزانية هو اضراب عمال الفحم . ولكنه عذر ظاهرى . فلو لم يكن هذا الاضراب لما كانت حالة المؤسسة افضل مما هى عليه . واعتقد أن بينج لم يعد يحسن تصريف الامور . »

ولم يزعجها هذا التعليق لان مواردها الخاصة لمن اسهم الشركات الاخرى تكفيها وزيادة . وكذلك موارد نعمها . فلن تحتاج الى ضغط المصروفات فى هاى ستاو . واما عن بومى فحالته ميسورة جدا ، ولا تشعر باى قلق من نحوه . فاذا ضير أحد حقيقة بهذه الازمة المالية فهو بينج نفسه . واحست فى اعماقها باشفاق عليه . وهو اشفاق لم تستطع التخلص منه . مع انها تعلم انه لا مبرر له الا التحيز لذلك الرجل رغم عيوبه جميعا !!

وهذا التحيز هو الذى دفعها غداة المعركة الانتخابية أن تركب سيارتها الى جلوسستر وتزوره فى داره . وكان البرد قارسا بعد ظهر ذلك اليوم — وهو يوم سبت — ولم تكن تتوقع فى الغالب أن تجده فى البيت بل وتمنت فى سريرتها الا تجده . ولكنه كان هناك بمفرده فى قاعة الجلوس الواسعة يطالع احدى المجلات . وعلى الفور

فطنت الى مدى قسوة الوحدة التى يعيش فيها هذا الرجل . وهى تعلم ان عدد اصدقائه الحقيقيين قليل رغم كثرة معارفه . فمعظم الناس قد قطعوا صلاتهم به منذ زمن بعيد ، لانه ليس من ابنـاء النعلبة وليس جنتامانا بالمعنى الرفيع للكلمة . والقلة الباقية انصرفوا عنه منذ بدا نجمه فى الافول

واذهله ان يراها تدخل عليه . ولكن استقباله لها كان حارا . وقال متهكما وهو يصافحها بمودة :

ـ اظنك جئت لتهنئتى ؟

ـ لكم تمنيت ذلك . والواقع انى جئت لانك لم ترد على خطابى الذى ابلغتك فيه نتيجة رحلتى الى كمبردج

ـ اعتذر اليك عن هذا التقصير . فقد كنت مشغولا بدرجـــة لا يتصورها العقل . واعتقد انك تدركين هذا

ـ لا باس . والحديث الشخصى افضل على كل حال

ـ طبعا . ولابد ان نتناول الشاى معا

وتاملته وهى تجلس قبالته فلم تستطع ان تتبين من سحنته ونظرته هل هو منشرح المزاج او منقبضه . وكانت ابتسامته شبيهة بالابتسامة الابوية . واشعل سيجارا ثم قال لها :

ـ اذن كانت رحلتك الى كمبردج موفقة . ولابد ان بيتر اتعبك

ـ كان معقولا جدا فلم احتج الى مجهود كبير فى اقناعه

ـ اى معقولية هذه ؟ اترينه معقولا جدا لانه تراجع عن مهاجمتى علنا ؟ لقد انتصرت واقنعته . ولكن لينك لم تنتصرى !

ـ لماذا ؟

ـ الا ترين ان فى ذلك اذلالا لى ؟ فهو دليل واضح على انه يكن من التقدير لخالته اكثر بكثير من تقديره لابيه !

ـ اطلاقا يابينج . كل مافعلته اننى ناقشته بهدوء . ولو انك فعلت ذلك لخرجت بالنتيجة عينها

ـ تعنين بهـــذا اننى ما كنت لافعل ذلك ؟ انى مدرك تمـــاما يامارجريت انك لست من المعجبين بى . واعلم انك ظللت عشرين عاما تتجنبيننى جهد استطاعتك . والآن وقد تقدمت فى السن ، وضاق صدرى جئت تكشفين لى عن سوء رايك فى

ـ لماذا تقول هذا ؟ على اى اساس ؟
ـ اليست هذه هى الحقيقة ؟
ـ كلا
ـ اتريدين ان تقولى ان رايك فى حسن ؟
ـ لا اريد ان اناقش الآن رايى فيك
ـ ولم لا ؟ خبرينى بحقيقة رايك فى . لقد كنت دائما مستقيمة التعبير . ولا تحاولى أن تراعى شعورى . لقد صمدت دائما للعواصف والصعاب . فصارحينى الآن برايك السافر فى شخصى

واحمر وجهها ازاء هذا التحدى . وأجابته بحزم :

ـ سأخبرك اذن مادمت مصرا . انى أعتقد انك رجل كان فى وسعه ان يغدو عظيما جدا ولكنه لم يصبح عظيما . والسبب فى هذا ليست الظروف الخارجية بل شىء فى دخيلة نفسك . فوسائلك عنيفة وتفكيرك فى الامور من وجهة نظرك تفكيرا متحيزا . وقد اشتدت هذه الظاهرة فى الفترة الاخيرة فتوالى فشلك

ـ عظيم ! اليس هناك شىء احسنه ؟ الا احسن ادارة مصنع للسيارات مثلا ؟

ـ تعلم كما اعلم انك حتى فى هذا لم تعد ناجحا كذى قبل . واما حياتك فى الاسرة فلست بحاجة الى الحديث عنها . فحتى ابناؤك بدءوا يتألبون عليك

ـ اظن ان توقف الشركة عن دفع ارباح للمساهمين هو الباعث الاساسى لك على هذه الصراحة المفرطة فى نقدى . فيوم كانت الشركة تؤدى ٨٠٪ ربحا سنويا كنت فى نظرك رجلا لا عيب فيه !

فنهضت مارجريت واقفة وقالت :

ـ اظن من المستحسن ان اتركك الان . فانت لا تعى ما تقوله

واخذت تجتاز القاعة الواسعة بخطى بطيئة نحو الباب . حتى اذا وضعت يدها على مقبضه لتفتحه سمعت صوتا اجشا يصيح من خلفها :

ـ مارجريت ... مارجريت اذاهبة انت حقا ؟

والتفتت وراءها لتراه معتمدا برأسه على كفيه . وكأنه كبر عشر سنوات . كان اشبه بمحارب قديم خرج محطما من معركة طويلة . .

ـ آسف يامارجريت . فلا ادرى ماذا عراني فى المدة الاخيرة . لا تذهبى

واحست انها غفرت له كل شيء فابتسمت وجلست . فقال بصوت اجش :

ـ فيما قلته لى كثير من الصدق

ـ حقا ؟ وفيما قلته انت ايضا كثير من الصدق . اننا لم نقدم لك الشكر على شيء مما فعلته لنا . وهو شيء كثير . انت الذى رعيت مصالحنا واقمت دعائم الشركة . وصنعت لنا ثروتنا . ولا اذكر اننا ابدينا لك مقدار قلامة ظفر من الامتنان

ـ كلانا اذن آسف . مع اختلاف دواعى الاسف

ـ هو كذلك ان شئت

فنهض على قدميه فجاة وضغط زر الجرس وامر الساقى باعداد الشاى ثم التفت اليها قائلا :

ـ ليتنا كنا صديقين طيلة هذه السنين !

ـ ليت . . . واظن ان الذنب فى هذا ذنبى يا بينج

ـ . وذنبى انا ايضا فقد كنت اظنك تمقتيننى

ـ انا ؟ ربما . ولكنى لم اعد اذكر شيئا من ذلك

ـ حقا ؟ حتى ولا هذه المشاحنة حول خطبة بومى ؟

ـ آه . ولكنى اعنى ما قبل ذلك . يوم انضممت الى الشركة

ـ اهذا هو الذى لم تعودى تذكرينه ؟ انى اذكر هذه الفترة تماما اذكر اول مرة التقينا فيها وكان بومى يطوف بكما انت وليلى المصنع وقدمنى اليكما واعتقد انك شعرت بالنفور منى من اول نظرة

ـ لا اظن اننى شعرت بنفور يومئذ

ـ ليتنى عرفت ذلك فى حينه . . .

ـ لماذا ؟

ـ لا ادرى . ولكن الامور ربما اتجهت بعدها غير الوجهة . . .

ولم يرد . وسكتت هى فلم تساله ايضا

وعلى مائدة الشاى تحدثا حول ذكريات قديمة كثيرة . وجرى ذكر لوفل وكيف كانت وفاته . وبينج فى زيارته . . وكانت مارجريت فى باريس فى ذلك الوقت

وقبل انصرافها اقترحت عليه أن يذهب لزيارة بينو فى كمبردج، فقال على الفور :

ـ سأذهب اذا انت اتيت معى

فلم تتردد فى الموافقة لحظة ، واحست بسعادة غريبة تغمرها وهى تقود سيارتها عائدة الى هاى ستاو . كانت سعادة مغمورة بالشعور بالقوة والشجاعة والقدرة على اصلاح ما بين الاب وابنه . وبعد ذلك سيكون من اليسير تغيير حالة بينج النفسية . وقررت أن تكتب فى تلك الليلة خطابا الى بينو ، ولكنها عندما وصلت الى الدار رات سيارة بومى هناك . ثم شمت رائحة سجائره المصرية فى البهو . ولما دخلت حجرة الجلوس وجدت بومى نفسه مستغرقا فى النعاس فوق مقعد وثير امام نيران المدفأة ، ودهشت ورمت على كتفه فاستيقظ ماخوذا وصاح وهو ينظر الى الساعة وينهض واقفا :

ـ يا الهى ! لابد أننى نمت زهاء ساعة ! كيف حالك ؟ هل وصلت الآن فقط ؟ قيل لى انك ذهبت لزيارة الجبار الاعظم بينج !

واومات براسها ثم سالته عن صحة بولين فقال :

ـ بولين على ما يرام . وكذلك انت فيما ارى . فلا اعتقد اننى رايتك فى صحة احسن مما انت الآن

ـ هذا تاثير الرياح الباردة

ـ نعم البرد شديد ... ما رايك فى التوجه الى الحجرة الاخرى و ...

وكف عن الكلام فقالت ضاحكة :

ـ ونتناول قليلا من الشراب ؟ لا مانع عندى . واعتقد انك استغرقت فى النوم حتى نسيت انك لم تعد تعيش هنا

وبكل هدوء ومن غير انفعال قال لها :

ـ ليتنى لم ازل اعيش هنا . لقد وقع بينى وبين بولين شجار فظيع

ولم يدهشها قوله . لانها ظلت طوال السنوات العشر الماضية فى حيرة من امره ، ولا تستطيع أن تتصور كيفية حياتهما معا . وكانت هناك دلائل تبرز بين الحين والحين . وهاهو ذا دليل من كلامه على أن بولين لم تفهمه اطلاقا . كانت واثقة من هذا . فبولين

لا تستطيع أن تفهم مثلا كيف يمكن أن يتشاجر رجل مع زوجته أعنف شجار ، ثم ينام نوما عميقا وهو فى انتظار من يفضى اليه بموضوع النزاع . وسألته :

ـ أتعرف هى انك جئت الى هنا يابومى ؟

ـ اظنها تستطيع التخمين

ـ ألا تعتقد ان هذا قد يزيد الامور سوءا ؟

ـ يزيدها سوءا ؟

وكان واضحا من لهجته ان الامور بينهما لايمكن أن تكون اسوأ مما هى الآن . واخذ يشرح لها كيف أن النزاع له أسباب ترجع الى سنوات كثيرة . فبولين تكره الريف . وهو شخصيا يشعر بالشقاء والاعياء كلما ذهب الى لندن . وحاولت مرارا ان تحمله على اتخاذ بيت فى لندن . فكان يماطلها ويعدها بذلك فى المستقبل من غير تحديد . واليوم بدات موالها المعتاد حول هذا الموضوع . ولكن بدلا من التسويفات التى عودها عليها انفجر سخطه . وتابع حديثه فقال :

ـ والحقيقة يا مارجريت انى لم اتمالك نفسى . فالاحوال فى الشركة سيئة . فكيف يمكن فى هذا الوقت بالذات ان تطالبنى باستئجار بيت اعجبها فى شارع بوند بايجار لا يعلم قيمته الا الله ! انها تريد ان تنتهى بى الى ملجأ العجزة والشيوخ المعدمين !

ـ ان الامور ليست بهذا السوء

ـ بل يجب فى هذا الوقت ان نقلل النفقات لا ان نزيدها

وابتسمت مارجريت فهى تعلم أن نوبة التشاؤم تعتريه كل خمس سنوات . وفى هذه النوبة تكون اعصابه فى منتهى التوتر . ولكنها لا تلبث طويلا حتى تزول . ولذا قالت له :

ـ انت تعلم جيدا يا بومى أن حالتك المالية على وجه العموم ميسورة للغاية . وان ارباحك فى السنوات الاخرى تكفى لتغطية خسارتك فى الشركة وزيادة . فلا يجوز لك ان تتشاءم

ـ يجوز أو لا يجوز ! انا لن اخضع لارهابها المستمر . واذا كانت لا تريد الحياة هنا فلها ان تذهب وتقيم فى بنسيون !

ـ هل قلت لها هذا ؟

ـ نعم

ـ وبعدئذ بدا الشجار ؟

ـ نعم

ـ اوه يا بومى . هذا كلام ما كان ينبغى ان يقال بأى شكل ؛

ـ اتظنين هذا حقا يا مارجريت ؟

ـ طبعا . اسمع نصيحتى وعد اليها الان واصلح مابينك وبينها . لانك كنت فى غاية الحماقة

ولم يجب . ولكنه نقل الحديث الى الحديقة والازهار . وبعد برهة قال وهو يهم بالانصراف الى سيارته :

ـ يسعدنى الحضور الى هنا ويريحنى التحدث اليك بين حين وآخر . سواء رضيت بولين أو لم ترض . لا استطيع الانقطاع عنك نهائيا . وسارالك قريبا بلا شك ... والى اللقاء ...

وبعد ان تناولت القهوة صعدت الى الطابق الاول ، وسألت المرضة عن حالة امها . ثم جلست بجوار فراشها . وكانت الام نائمة . فالقت مارجريت نظرة على الستائر . ولاحظت ان أوراق الحائط تحتاج الى تجديد . ولكن ما الحيلة وامها ترفض ذلك باصرار ، لانها لا تريد أن تغادر هذه الحجرة ولو ليلة واحدة ؟ وفجأة فتحت الام عينيها وقالت لها :

ـ هل عدت يا مارجريت ؟ لقد سمعت سيارتك وانت ذاهبة

ـ نعم يا امى . ذهبت الى جلوسستر لزيارة بينج

ـ بينج ؟ وكيف حاله ؟

ـ على ما يرام ...

وسكتت الام . لان هذه الاسئلة كانت كافية لديها لتشعر أن من حولها على قيد الحياة . وانها لم تزل على قيد الحياة بينهم . ونهضت مارجريت وصاحت :

ـ طابت ليلتك يا امى

To: www.al-mostafa.com

ثم همست للممرضة بكلمة تشجيع . واتجهت نحو حجرتها واذا الساعي يسرع نحوها ليقول لها ان ساقي سير أوين بينجلر تحدث الان بالتليفون ليبلغها ان السير اوين اصيب بانهيار مفاجئ

وامرت باعداد السيارة . وعندما مرت في طريقها بباب حجرة البليارد تذكرت رسالة شبيهة بهذه منذ ثلاثين عاما . وكان المريض يومئذ اباها

الفصل الخامس عشر

إصبع القدر

عادت مارجريت الى هاى ستاو بعد منتصف الليل مباشرة وقد اكد لها الطبيب أنها لا تستطيع المساعدة فى شىء حاليا . فهناك ممرضة تسهر عليه . وستنضم اليها ممرضة اخرى . وعلمت منه ان الحالة تدل على انهيار تام بدنيا وعقليا نتيجة الارهاق الشديد . وهى حالة خطيرة لان بنية المريض الحديدية اتاحت له الصمود اطول مما يجب

وفى الدقائق القليلة التى قضتها فى حجرة المريض سمعته وهو فى حالة هذيان يطلق صيحات وحشية حول ملفورد والبلاشفة وما الى ذلك . ولولا ان الموقف بالغ الخطورة لكان مضحكا للغاية . لان تلك الصيحات كانت شبيهة كل الشبه باحاديث بينج وخطبه العادية

وقضت اليوم التالى فى بيت بينج ولكن حالته لم تتحسن . ووصل أولاده جميعا من مدارسهم ، وجاء بيتر من كمبردج . فأثار منظرهم اشفاقها . ولذا صحبت حين عودتها الى هاى ستاو بريان وافريل وروبرت . وكانت هذه هى المعونة الوحيدة التى استطاعت تقديمها

وتغير نظام حياتها فى الاسبوع التالى كله . ففى كل صباح تأخذ الاطفال معها الى جلوسستر ، وتقضى النهار كله هناك . وفى كل يوم تتلقى من الطبيب تقريرا لا يتغير عن حالة المريض وكيف أنها لم تتغير . وفى اليوم الثامن اخبرها الطبيب أن هناك تحسنا طفيفا . وان الهذيان انقطع . وانه يذكر اسمها فى هدوء . وأدخلوها اليه فتعرف عليها ، ونعلقت عيناه بها فى تلهف ، وهمس باسمها . ولم

تجد ماتقوله سوى مناداته باسمه . وبعد لحظة صمت سأل عن أولاده ثم طلب ان يراهم . فلما دخلوا نظر اليهم واحدا بعد الآخر ، ونمت نظراته عن اعمق الحب واصدقه . ثم خاطبهم قائلا :

ـ لم يعد هنالك داع لبقائكم هنا . عودوا الى مدارسكم وسأسترد عافيتى قريبا

ولم يقل اكثر من هذا وبعد خروجهم قال لمارجريت :

ـ اولاد طيبون ... كلهم . من الذى يعنى بامورهم وهم هنا ؟

ـ الثلاثة الكبار بيترو وجون وميكى يعنون بانفسهم . اما الباقون فيقيمون معى فى هاى ستاو

ـ هذا فضل كبير منك يا مارجريت

ورمقها بنظرة غريبة فاحصة تحمل شيئا اكثر من الامتنان واكثر من الاعجاب

وبعد اسبوع آخر تلاشى الخطر وكان بيتر قد عاد الى كمبردج وعاد اخوته جميعا الى مدارسهم . وظلت مارجريت تاتى كل صباح فى سيارتها مهما كانت حالة الجو والمطر . وتبقى مع بينج ساعة تحدثه ان شاء حديثا ، او تقرا له فى كتاب او صحيفة . او تجلس معه فى صمت مانوس . وكان يتقدم نحو الشفاء ببطء شديد

وبمرور الايام اخذ يحدثها بغير احتجاز او تكلف عن حبه لاولاده ، وثقته فى حسن نشاتهم . وذات مرة قال لها فجاة بعد صمت طويل :

ـ كم اتمنى لو كنت بجانبهم دائما لرعايتهم

وساد الصمت بعدها طويلا . ولم تعلق على كلماته . ولكنها شعرت بان فى اعماقها كنوزا من الحنان لم تبذلها لرجل لانها لم تتزوج . وان لديها من المواهب ما كانت حرية ان تحظى به رجلا اعظم وارق ... لو انها تزوجت رجلا من طراز بينج

وبعد اسبوع ثالث بدات تخرج به للنزهة فى الايام المشمسة فى انحاء الريف المحيطة بالمدينة . وذات مرة قال لها فجاة :

ـ هناك شيء يا مارجريت يلح على خاطرى واريد ان افضى به اليك . بل يجب ان افضى به اليك . فهل لديك مانع ؟

ـ كلا ان كان لابد لك من ذلك

ومضت دقيقة قبل ان يقول لها :

ـ المسألة تتعلق بأول مرة رايتك فيها .. لقد رايتك تتحاشين الاجتماع بى وترتبين الامور بحيث أكون دائما مع ليلى ... وبطبيعة الحال ... ايقنت انك تنفرين منى

ولم تقل شيئا . ولكن قلبها اخذ يدق دقا عنيفا اختلجت له عروق دماغها :

ـ ... ولو لم اكن موقنا من هذا لكنت انت التى طلبت يدها

وبلا تردد اجابته وكان واجبها الاول ان تصدقه القول بصراحة :

ـ ولو انك طلبت يدى لقبلت :

ـ يا الهى ! اكنت تقبلينني حقا ؟

ـ نعم . وانت قلت انك تريد ان تخبرنى لتخلى ذهنك من هذه الرغبة الملحة . والآن فلنترك هذا الموضوع ولا نعود اليه ....

ـ ولكن ...

ـ ليس الآن على الاقل

وعادت به الى بيته ثم اسرعت عائدة الى بيتها . وكان القمر يتوسط السماء وهى تخترق التلال بسيارتها . وراودتها نفسها أن تنزل وتتسلق تل ستاو فى قفزات متلاحقة تعبر بها عن فرحها الظافر

اذن كان بينج يريدها هى . وقد ظنته يفضل ليلى فكتمت هواها وتعمدت أن تتحاشاه ... ولكن هذا كله تاريخ قديم . ولا فائدة من مناقشته

وفى الصباح ذهبت الى جلوستر لتراه كالعادة فبادرتها الممرضة بانه نام نوما سيئا . ولكن عندما انفردت به مارجريت قال لهـا باسما :

ـ الممرضة تظننى اسوأ حالا اليوم . وهذا غير صحيح . فكل ما هناك ان خاطرا يلح على ذهنى ولن استريح حتى اطلعك عليه

ـ تكلم اذن لتستريح . ولكن لا تجهد نفسك

ـ تذكرين حديث الامس . لقد بدا لى غريبا اننا قضينا هـذه السنين كلها ، وكل منا مخدوع فى فهم شعور صاحبه . وشغلنى التفكير فى ذلك . وتساءلت هل فات اوان اصلاح ذلك الخطأ القديم ؟

ـ كلا بالطبع . لقد انتهى هذا الماضى وسنكون صديقين حميمين جدا فى المستقبل

ـ اخشى انك لم تدركى مرمى كلامى

ـ حقا ؟

ـ كلا . انى يامارجريت اسالك بصراحة هل لديك مانع الان من الزواج بى ؟

فشحب لونها لانها طرحت من ذهنها منذ سنوات كل احتمال للزواج . كانت احيانا تتمنى لو انها تزوجت . لا ان تتزوج الان . وفطن الى شحوبها فقال :

ـ اذا كنت ترين هذا مستحيلا كل الاستحالة ، فعليك ان تصارحينى الآن بذلك وساحاول ان اطرد المسالة من ذهنى . واعدك الا اعود الى اثارتها

ـ اتعنى هذا حقا يا بينج ؟

ـ بكل صدق واخلاص . هل ادهشك الطلب ؟

ـ لقد بدا مستحيلا . بالنسبة لسننا

ـ اننا لم نتجاوز سن الاهتمام بالحياة . صارحينى برايك !

ـ لم يتسع لى الوقت للتفكير . ويجب ان افكر مليا

ـ هل ستفكرين جديا حقا ؟

ـ نعم

ـ ومتى تبلغيننى رايك ؟

ـ متى وصلت الى قرار . وربما كان ذلك غدا

وتلك الليلة اخذت تسال نفسها . انه فى الخامسة والخمسين وهى فى الخمسين . وامامهما نحو عشرين سنة يتم فيها نمو الاولاد ويتزوجون ، ويجتاز فيها المصنع الازمة وتزدهر احواله . ويعود فيها بينج الى التوفيق ، ان لم يحقق فيها شيئا من آماله الضخام

انها لا تنوى ان تتحكم او توجه . ولكنها ستستخدم تاثيرها المهدىء عليه وعلى اولاده . وربما اقنعته باعتزال السياسة نهائيا . ولكن ماذا سيقول بومى ؟ ماذا سنقول امها ؟ ماذا سيقول بيتر وجون ؟ انهم سيقولون جميعا انه زواج مصلحة او زواج عقل . ولكنها تعلم ان فيه اكثر من العقل والمصلحة

وتمنت ان يظل الامر سرا بينهما بعض الوقت . فان لغط الناس وتهانيهم قد تثير اعصاب بينج وهو فى طور النقاهة . وفى الصباح زارته فانيانها المرضة ان نومه كان قلقا . فلم تعجب وايقنت ان قلقه سيزول

وبمجرد انفرادهما معا قالت له بكل بساطة وعلى الفور :

ـ انى احمل اليك جوابى يا بينج . ساتزوجك

واثلج صدرها ان ترى ابتسامته الصامتة البطيئة تتسع حتى تغمر وجهه الكبير كله ولمعت عيناه . واشرقت اساريره . فسالته :

ـ اراض انت الآن ؟

فقال متلعثما

ـ نعم . كل الرضا

ـ وكذلك انا

□

ومرت الايام وهى تشعر باحساس غريب مصدره ذلك السر الذى بينها وبين بينج . وانها بعد كل هذه السنوات ستتزوج اخيرا ومع تقدم صحة بينج صارت حالتها النفسية اشبه بحالة فتاة من طالبات المدارس فى عطلة

وكانت هناك اشياء كثيرة جدا يجب الاتفاق عليها واعدادها ومناقشتها . وفى الرحلات الكثيرة التى صحبته فيها بين ارجاء الريف كانت هذه الموضوعات تشغل وقتهما . وذات مرة اقترحت عليه ان يكون شهر العسل رحلة طويلة بطيئة حول العالم . وبطبيعة الحال كانت هناك صعاب لابد من تذليلها . فمن الذى سيعنى بامها اثناء غيابها ؟ ومع هذا كانت مناقشة الرحلة كانها شىء سيحدث فعلا امرا سارا بهيجا . واشتريا الخرائط وكتب الرحلات ، ورتبا كل دقائق الرحلة وتفاصيلها . مع ان الموضوع كله لا يمكن البت فى تنفيذه الا بعد استشارة السيدة العجوز

وفى عطلة منتصف العام عاد بيتر الى البيت وجمعتهما جلسات ودية كثيرة ناقشا فيها آراءه السياسية . ولم يستطع اقناعها على طول الخط ولكنها لم تكن متحيزة ضد آرائه على كل حال . فكان دائما يبتسم ويقول لها :

ـ اعتقد انك اقرب الى الاتفاق معى

ـ انا فى الحقيقة اقرب الى الاتفاق مع كل انسان

والواقع ان هذه الآراء الجديدة اثرت فى تفكيرها فبدأت تنظر الى الناس على اساس جديد . هو اساس تكافؤ الفرص وحق جميع الناس فيه

اما بقية الاولاد فكان سلوكهم نحو بينج مرضيا للغاية . لقد اصبحت الحواجز بينه وبينهم اقل . واجتراوا ليلة عيد الميلاد على الصخب . ودخل معهم بينج فى مباراة تلبلياردو . وبعد انصرافهم الى مخادعهم صنت لنفسها وله كأسين كبيرتين . وكانت يدها ترتجف فقال لها :

ـ اراك مستثارة الاحاسيس !

ـ بل انى سعيدة للغاية . سعادة هؤلاء الاطفال تسعدنى

ـ اعتقد انك ستتزوجيننى محبة فيهم

ـ وانت لماذا تتزوجنى اذن ؟

ـ لماذا ؟ لاننا سنكون احمقين لو مضى كل منا يعيش بمفرده بقية عمره

ـ هذا سبب وجيه ومعقول وفيه الكفاية

نعم انهما اسن من احاديث الغرام . فالغرام خارج برنامجهما . ولكنها ليست صحبة خالية من الود والتكافل

وفى بداية العام انبات امها . فتقبلت النبأ ببساطة . انها لم تعد تكترث كثيرا لما يصنعه الناس . وفى ذلك اليوم رن جرس التليفون وكان المتحدث بومى .

ـ تعالى بسرعة . حالة بولين سيئة وقد بعثنا فى طلب الطبيب

ولما وصلت الى بيت بومى وجدته هو فى حالة سيئة . كانت اعصابه على شفا الانهيار

وبعد قليل ولد الطفل . كان غلاما . ولكن بولين ماتت !

ووجدت نفسها أمام موقف جديد . امام اخ عاش طول حياته معتمدا عليها . وهو الآن مترمل له طفل يتيم . وليس لهما فى الحياة من احد سواها

كان بومى اشبه بطفل مسلوب الارادة لابد ان تلازمه وترعى

حركاته وسكناته وتطعمه وتهدهده وتكفكف عبراته . وصحبته معها ليقيم فى هاى ستاو هو وطفله . وفى هاى ستاو ثاب الى عاداته القديمة واطمئنانه القديم . وجعل يقول لها :

ـ لا أدرى ماذا يكون مصيرى لولاك يامارجريت

وعندما جاء بينج للعزاء كانت نظرة واحدة الى عينيها كافية كى يفهم كل شىء . كى يفهم ان واجبا آخر قد استأثر بها دونه فى آخر لحظة . واغضى وهو يشد على يدها بحرارة . فقالت همسا . بصوتها الهادىء المطمئن :

ـ سنكون دائما صديقين حميمين . ينبغى أن يكون هذا كافيا

وهز راسه ولم يتكلم . فقالت :

ـ يجب يا بينج . لابد ..

فابتسم ابتسامته البطيئة وقال :

ـ نعم . لابد ..

ـ ولابد أيضا أن تستعيد صحتك لتشرف على العمل . فحالة بومى لاتسمح له فى الوقت الحاضر بنشاط يذكر

فازدادت ابتسامته اتساعا وهو يقول لها :

ـ كلانا يجب أن ينهض ويواصل الكفاح . فمن سوانا يستطيع ؟

القصص العالمية للجميع

الفرسان الثلاثة "جزءان"	اسكندر ديماس
الكونت دي مونت كريستو	"
ذئب مع الريح "جزءان"	مارغريت ميتشل
رجال ونساء .. وحب	جون شتاينبك
ليلة غرام	سومرست موم
كنت جاسوسا	"
غادة الكاميليا	مارسيل بروست
جريمة في الريفيرا	جورج سيمنون
الأرض الطيبة	بيرل بك
عذارى العنبر	"
ايفانهو "أو الفارس الأسود"	سير والتر سكوت
دافيد كوبر فيلد	شارل ديكنز
أحدب نوتردام	فيكتور هيجو
الام فرتر	يوهان جوته
البؤساء والبحر	ارنست همنغواي
سوف تشرق الشمس	"
الكأس الأحمر	اجاثا كريستي
عدالة السماء	"
القاتل الخفي	"
الرجل الغامض	"
غادة طيبة	"
عذراء وثلاثة رجال	جيمس هيلتون

To: www.al-mostafa.com